السنة الخامسة والأربعون بعد المئة

فيها خرج إبراهيم بالبصرة ومحمد بالمدينة على أبي جعفر فقُتلا، وسنذكرهما إن شاء الله تعالى.

وتتابعت الحوادث على أبي جعفر من كل جانب، والخوارج[1] والترك خرجوا إلى باب الأبواب فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً، فكان أبو جعفر يترنَّم: [من الوافر]

تَـفـرَّقـت الـظِّـبـاء عـلـى خِـراشٍ فـمـا يـدري خِـراشٌ مـا يـصـيـدُ

وفيها أُسِّست بغداد، قال الجوهري: بغداذ، وبَغدان، ومَغذان، تذكر وتؤنث[2].

قال أبو حاتم: سألتُ الأصمعي عن بغداد وبغداذ ومَغْدان وبغدين هل يقال ذلك؟ فكره أن يتكلم بشيء منه وقال: هذا كلُّه رديء، أخشى أن يكون شركاً، وأبغضه إليَّ بغداذ بذال معجمة.

وإنما كرهوا ذلك؛ لأنه كان بالمشرق صنم يقال له: بغ، وموضع بغداد يقال له: داذ قرية، فأقطع كسرى خصياً له موضع بغداد، فقال الخصي: بغ داذ أي: عطية الصنم، وداذ عطية.

وقيل: كان في موضعها دير فيه صنم اسمه بغ، وسادنه يقال له: داذ.

وقال الفراء: كل ما جاء من اللغات في بغداد يُراد به: عَطيَّة الصنم، فكُره الجميع لهذا.

وقال ابن الأنباري: بغ: بستان، وداذ اسم رجل.

وقال ابن الأعرابي: دخلت إلى موضع بغداد ـ وهو أَجَمة ليس فيه إلا كوخ ـ وفيه رجل من الأولين ينظر مَبْقَلة له، فلما جاء أبو جعفر ووضع الأساس قال: ما اسم هذا المكان؟ قالوا: لا ندري، فقيل له: هاهنا رجل من الأولين، فبعث إليه فقال: ما اسمك؟ قال داذ، قال: وما يقال لهذا الموضع؟ قال: بغ، يعني: المبقلة، فقال أبو

---

(١) كذا في النسختين (خ) و(ب)، وفي الطبري ٧/ ٦٤٩ : وفيها خرجت الترك والخزر.

(٢) الصحاح (بغذ ٢/ ٥٦١).

جعفر: سموها باغ داذ؛ يعني بستان صاحب هذه المبقلة.

ولا يُتابَع ابن الأعرابي على ذلك، والمحفوظ أن هذا الاسم كان يعرف به هذا الموضع قبل أبي جعفر[١].

ويقال: دار السلام.

لما ولي المنصور الخلافة بنى بالكوفة مدينة يقال لها: الهاشمية غير مدينة ابن هُبيرة[٢]، وبنى إلى جانبها أخرى وسمّاها الرُّصافَة فلم تحمله، وانتقل إلى الهاشمية، وبنى بها قصراً عظيماً، فلما ثارت عليه الرّيوندية كرهها وخاف على نفسه، فاختار بناء بغداد ليأمَن على نفسه.

وقال الهيثم: حذَّره الناس من أهل الكوفة ـ وكانوا قد أفسدوا جنده ـ وقالوا: إن أبا العباس انتقل عنهم، وهم قوم قد عرفت ثوراتهم كل وقت، وأنت قريب منهم، فارحل إلى بعض الأماكن.

فبعث الرُّوَّاد فلم يظفروا بما كان في نفسه، فخرج بنفسه، فبدأ بناحية واسط، وعاد في دجلة فرأى موضع بغداد، ثم سار إلى الموصل، وعاد إلى موضع بغداد فأعجبته وقال: هذا سرة العراق، والعراق سرة الدنيا، ولهذا اختارت الأكاسرة المدائن وهي قريبة من هذا، ولولا إحياء سنَّة الأعاجم وآثارهم لسكنتُ المدائن، ولكن هذا موضع حسن، يأتينا في دجلة جميع ما في الجزيرة من الميرة وغيرها، وهذه الصَّراة يأتينا فيها كل ما في الشام ومصر، وهذه دجلة يأتينا فيها كل ما في الهند والسند وفارس والأهواز وعُمان والبصرة وتلك النواحي.

وروى الخطيب: أن بغداد كانت مزرعة يقال لها: المباركة، وكانت لستين نفساً من البغداديين، فعوَّضهم أبو جعفر عنها عوضاً أرضاهم به، وقسمه بينهم[٣].

وقال سليمان بن مجالد: لما خرج أبو جعفر من الكوفة يرتاد منزلاً نزل بساباط المدائن، فرَمِد بعض أصحابه، فأقام يعالج عينيه، فقال له الطبيب: أين يريد أمير

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ والخبر فيه عن المظفر بن عاصم بن أبي الأغر.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٦١٤، والمنتظم ٨/ ٦٩، بنى الهاشمية قبالة مدينة ابن هبيرة، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بحيالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة.

(٣) تاريخ بغداد ١/ ٣١٧، والمنتظم ٨/ ٧٠.

المؤمنين؟ قال: يريد منزلاً ينزله، فقال: إنا نجد في كتبنا أن رجلاً يُدعى مِقلاصاً يبني مدينة بين دجلة والصَّراة؛ وتُدعى الزَّوراء، فإذا أسَّسها أتاه فَتْق من الحجاز، فقطع بناءها وأقبل على إصلاحه، فإذا كاد يلتئم أتاه فَتْق من البصرة أكبر منه، فلا يلبث الفتقان أن يلتئما، ثم يعود إلى بنائها فيُتمِّمه، ثم يُعمَّر طويلاً، ويبقى الملك في عَقِبه.

فأخبرني صاحبي بقول الطبيب، فأخبرتُ أبا جعفر فقال: أنا والله ذلك، لقد سُمِّيتُ مِقلاصاً وأنا صبي، ثم انقطعت عني[١].

وقال الصُّولي: لما أراد أبو جعفر أن يبني بغداد كان يؤتى من كل أرض بتراب فيُعَفِّنه، فيصير عقاربَ وهَوامّ، فأُتي بتربة بغداد فعَفَّنه، فخرج صُرَيْصر[٢] فأعجبه ذلك، وكان هناك دير فيه راهب في صومعة، فاطَّلع فقال: لا يقدر على بنائها إلا رجل يُقال له: مِقلاص، وبلغ أبا جعفر فقال: الله أكبر، كانت أمي تُسمّيني مِقلاصاً وأنا صغير، ثم انقطع عني.

قال الهيثم: فقال له الراهب: لا بد لك من فتقين، يعني إبراهيم ومحمداً، ثم قال له: ضعها هاهنا تأتيك الميرة من المغرب وطرائف مصر والشام في الفرات، وتجيئك المِيرة في دجلة من الصين والهند والبصرة وواسط وأذربيجان وأرمينية والروم والجزيرة والموصل وديار بكر ونحوها، ثم تكون بين الفرات ودجلة في خندق لا يصل إليك عدو إلا على جسر أو قنطرة، فإذا خفتَ أخربتَ الجميع فتأمن، وهذه المدينة لا يبنيها إلا رجل يقال له: أبو الدَّوانيق، فضحك أبو جعفر وقال: أنا ذاك.

قال الخطيب: وكان في موضع القصر الذي بناه على الفرات دير، وإلى جانبه قرية يقال لها: العتيقة؛ وهي التي افتتحها المثنى بن حارثة، فنزل المنصور الدَّير، وكان عنده قرى ومزارع هي موضع بغداد، وحشد لها الصُّنَّاع والفَعَلة من البصرة والكوفة والشام والجزيرة ومصر، ومن الأقطار، ووضع أساسها في وقت اختاره له نُوبَخت المنجِّم، وكان الطالع القوس، وقال له نوبخت: إن الطالع يقتضي أنها لا تخرب، ولا يموت فيها خليفة[٣].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦١٥، والمنتظم ٨/ ٧١.

(٢) في تاريخ بغداد ١/ ٣٧٤، والمنتظم ٨/ ٧٤ : فخرج صرارات.

(٣) انظر المنتظم ٨/ ٧٢، وتاريخ بغداد ١/ ٣٨٦.

قال المصنف رحمه الله: كذب نوبخت، إن كان أراد مدينة المنصور التي هي بغداد وهي من الجانب الغربي من دجلة فقد خربت خراباً كلياً بحيث لم يبق منها شيء، وقُتل فيها الأمين، ومات بها محمد القاهر، وإن أراد الجانب الشرقي فقد مات بها عامة الخلفاء، وقتل بها المقتدر، ولم يخرج عنها سوى الراشد والمسترشد.

ثم أحضر المهندسين، وضرب اللَّبِن، وأحرق الآجر، وأمر أن تُخَطّ له، فخُطَّت وبُيِّن له صورتها.

قال ابن عياش: فأخذ بيده لبنة وقال: بسم الله وبالله ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

ثم قال لخالد بن بَرْمَك: ما ترى في نقض إيوان كسرى وصرف أنقاضه إلى بناء هذه المدينة؟ فقال: لا أرى ذلك، قال: ولم؟ قال: لأنه عَلم من أعلام الإسلام، يَستدلُّ به الناظر إليه على أنه لم يكن ليزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا، وإنما هو بأمر دين، فقال أبو جعفر: أبيت إلا الميل إلى أصحابك الأعاجم.

وأمر أن يُنقَض القصر الأبيض، فنُقضت ناحية منه، وحُمل نقضه، فنظروا في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الحديد، فقال أبو جعفر لخالد: ما ترى؟ قال: قد كنتُ أرى أن لا يُنقض، فأما الآن فأرى أن يُهدم حتى يَلحق بالأرض، قال: ولم؟ قال: لئلا يقال: إنك عجزت عن هدم ما بناه أولئك، فأعرض عن هدمه.

وذكر الخطيب: أن المنصور همَّ بنقض الإيوان، واستشار أصحابه فصَوَّبوا رأيه إلا كاتب من الفرس فقال له: يا أمير المؤمنين، قد علمتَ خروج رسول الله ﷺ من تلك القرية، وكان منزله ومنزل أصحابه على ما قد علمت، خرج أصحاب تلك المنازل مع ضعفهم إلى صاحب هذا الإيوان مع عزَّته وصعوبة أمره؛ حتى غلبوه، وسلبوه ملكَه قهراً، وقتلوه، فيجيء الجائي من أقاصي الأرض، فينظر إلى تلك القرية وإلى هذا الإيوان؛ فيتيقن أن الله أيَّده، وكان معه ومع أصحابه، ففي تركه فخر لكم، فاتَّهمه[1].

وأمر المنصور أن يُجعل الأساس من أسفله خمسين ذراعاً، وأعلاه عشرين ذراعاً.

(١) تاريخ بغداد ١/ ٤٥٥، والمنتظم ٨/ ٧٣.

وابتدأ البناء في سنة خمس وأربعين ومئة، وفرغ في سنة ست وأربعين.

وبناها مدورة الشكل ليكون الملك في وسطها، ولا يكون إلى موضع أقرب من موضع، وهي ثلاثون ومئة جَريب[١]، وأنفق عليها ثمانية عشر ألف ألف درهم.

وقال الطبري: أنفق عليها أربعة آلاف[٢] وثمان مئة وثلاثة وثلاثين درهماً، على المدينة والسور وقصر الذهب والإيوان والسقوف؛ لأن الأستاذ من الصنَّاع كان يعمل في يومه بقيراط إلى خمس حبات، والرُّوزجاري يعمل بحبتين إلى ثلاث حبات.

قال الخطيب: ومبلغ الأربعة آلاف درهم من الفلوس مئة ألف [ألف] فلس وثلاثة وعشرون ألف فلس[٣].

وهذا تفاوت عظيم من ثمانية عشر ألف ألف درهم إلى أربعة آلاف درهم.

وكانت كل لَبِنة عرض ذراع في ذراع، وزنها سبعة وعشرون رطلاً بالعراق[٤].

وكان أبو حنيفة النعمان بن ثابت يَعُدُّ اللَّبِن بالقصب، وهو أول من فعل ذلك.

وجعل لها أربعة أبواب: باب الكوفة لمن يأتي من الحجاز، وباب الشام لمن يأتي من المغرب[٥]، وباب البصرة لمن يأتي من البصرة والأهواز وفارس ونحوها، وباب خراسان لمن يأتي من المشرق، وبين كل باب وباب ألفا ذراع ومئتا ذراع، ونقل إليها أبواب واسط ـ التي نقلها الحجاج من مدينة بناها سليمان عليه السلام قريبة من واسط، ويقال لها: الزَّنْدَوَرْد؛ اتَّخذت لها الشياطين خمسة أبواب من الحديد؛ لا يقدر على عمل مثلها أحد من الناس، وخربت تلك المدينة ـ وجعل على كل باب سوراً[٦] وحُجَّاباً، وعلى كل باب قائداً، وجعل حولها الخنادق، وكان لا يدخل أحد راكباً من هذه الأبواب إلا عم المنصور داود بن علي؛ فإنه كان مُنَقْرَساً، فكان يُحمل على

(١) في (ب) و(خ): ومئة ألف جريب، والمثبت من تاريخ بغداد ١/ ٣٧٨، والمنتظم ٨/ ٧٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٦٥٥ : أربعة آلاف ألف.

(٣) هذا الكلام من تتمة خبر الطبري وليس للخطيب، وإنما نقله الخطيب في تاريخه ١/ ٣٧٨ ـ وعنه ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٧٥ ـ عن بعض الكتب .

(٤) في تاريخ بغداد ١/ ٣٨١، والمنتظم ٨/ ٧٥ : وزنها مئة وسبعة عشر رطلاً.

(٥) في (ب): من الغرب.

(٦) في النسختين: ستوراً، وانظر تاريخ بغداد ١/ ٣٨٤، والمنتظم ٨/ ٧٧.

مِحَفَّة، ومحمد المهدي.

وقال عبد الصمد بن علي للمنصور: يا أمير المؤمنين، أنا شيخ كبير، عُدَّني بعضَ بغال الروايا التي تصل إلى الرِّحاب، فأمر أن تعمل قُنيّ الماء إلى المدينة فعملت.

قال المصنف رحمه الله: قول الخطيب: إلا داود بن علي وهم؛ لأن داود مات سنة ثلاث وثلاثين، ولم يُدرك من دولة بني العباس سوى ثمانية أشهر، وإنما القائل للمنصور سليمان بن علي.

وكانت مساحة قصر المنصور وجامعه الذي هو قائم اليوم أربع مئة ذراع في مثلها، وبنى القُبَّة الخضراء في ارتفاع ثمانين ذراعاً، وكانت ترى من أقصى بغداد، وعلى رأسها تمثال فرس عليه فارس.

وقال أبو القاسم التَّنوخي: كان على رأس القبة الخضراء صنم على صورة فارس بيده رمح، فكان إذا مدَّ الرمح واستقبل بعض الجهات عُلم أنه قد ظهر بها خارجي، فيَرِد الخبر بذلك.

وقال القاضي التنوخي: إن في سنة تسع وعشرين وثلاث مئة في جمادى الآخرة كانت ليلة شديدة المطر والرعد الهائل والبرق؛ سقطت القبة الخضراء، وكانت تاجَ بغداد، ومأثرة بني العباس، وهو أول بناء بنوه، وكان بين بنائها وسقوطها مئة ونيف وثمانون سنة، وكانت محبس أبي جعفر، ومن دون القبة أربع قباب، وبنى على دجلة قصراً وسماه الخلد، فكان يكون تارة فيه وتارة في القبة[١].

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: حَدُّ بغداد من الصَّراة إلى باب التِّبن[٢] طولاً، والصراة وهي النهر الذي عليه القنطرتان بباب البصرة العتيقة والجديدة، وباب التبن هو مشهد موسى بن جعفر.

فأما عرضها فمن دجلة من الشرق إلى مكان غربي بغداد يقال له: الكَبْش والأَسَد، قريب من قبة إبراهيم الحربي، وكانت عنده أسواق عظيمة تمنع الماشي من المشي لكثرة الزحام، وهي اليوم مزارع وصحارى.

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٣، ٣٨٥، والمنتظم ٨/ ٧٨.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٣٨٠.

وكان الجامع مبنياً باللبن، فنقضه هارون وبناه بالآجُرّ، واسمه مكتوب عليه إلى اليوم، وإنما سُمِّيت الأماكن التي حولها بنهر طابق، ونهر القَلَّايين، ونهر الدجاج لأنها كانت أنهاراً تدخل إلى المدينة، وقيل: إن القنطرة العتيقة من بناء الفرس.

ولما فرغ من بنائها قدم عليه رسول من الروم، فأمره أن يطوف في أقطارها فطاف، فقال له: كيف رأيتها؟ قال: رأيت أعداءك معك فيها، قال: ومن هم؟ قال: السوقة، فأمر بنقلهم ونقل الأسواق إلى الكَرْخ.

وقال الطبري: جعل لها ثمانية أبواب، أربعة خارجة وأربعة داخلة، وخطَّ جامعها الحجاج بن أرطاة، وقيل: إن قبلته على غير صواب، ويحتاج المصلِّي فيه أن ينحرف قليلاً إلى باب البصرة، وقبلة مسجد الرصافة أصوب.

وقال خالد بن الصلت: ولاني أبو جعفر على رُبع من أرباع المدينة، ففرغتُ منه، ورفعت إليه حساب النفقة وهو يحسب بيده، فبقي منها خمسة عشر درهماً، فحبسني أياماً حتى أدَّيتُها إليه.

ودخل يوماً فطاف في قصره، فأعجبه مكان فيه، فأراد أن يعلم ما أنفق عليه، فقال للمسيِّب: أحضر لي بنَّاء فارهاً، فأحضره فقال: كم غرم علي هذا القصر؟ فلم يردَّ عليه شيئاً، فخافه المسيب لأنه تولى بناءه فقال: تكلَّم، فلم يُحِر جواباً، فأخذ بيده وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال: ابن لي بإزاء هذا المجلس طاقاً، فبناه في يومين، فقال للمسيب: ادفع إليه أجرته على حسب ما عمل، فحاسبه المسيب فأصابه خمسة دراهم، فقال أبو جعفر: لا أرضى هذا، فنقصه درهماً، ثم أخذ المسيب والأمناء والبنّائين والمهندسين بحساب الطاق، فخرج على المسيب ستة آلاف درهم، فأخذه بها، فما خرج من القصر حتى حملها[1].

قال الخطيب: وعقد عليها المنصور ثلاثة جسور: جسر له ولخواصّه، وجسر للأجناد، وجسر للعامة[2].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٥١ ـ ٦٥٢، ٦٥٤ ـ ٦٥٥.

(٢) تاريخ بغداد ١/ ٤٣٧، والمنتظم ٨/ ٨٠، وفيها أنه عقد ثلاثة جسور، أحدها للنساء....

ذكر كراهية سكنى بغداد

قد كره غير واحد من السلف سُكناها والمقام بها، وكان الفُضيل بن عياض لا يرى الصلاة فيها، قال: كانت مَبْقلة لأيتام، أخذها أبو جعفر منهم ولم يعطهم شيئاً، وكان ينهى أصحابه عن المقام بها ويقول: أخبثهم مؤدبهم[١].

وقال بشر الحافي: بغداد ضيقة على المتَّقين، ما ينبغي لمؤمن أن يقيم بها، قيل له: فهذا أحمد بن حنبل وأنت مقيمان بها؟! فقال: دفعتنا الضرورة إلى المقام بها كما دفعت الضرورة إلى أكل الميتة.

وسئل الإمام أحمد رحمة الله عليه عن مسألة في الورع فقال: لا أتكلم فيه وأنا آكل من غلَّة بغداد، إنما يتكلم فيه بشر الحافي لأنه لا يأكل من غَلَّتها.

وسئل أيضاً عن درهم من غلَّة بغداد فقال للسائل: أما غلة بغداد فأنت تعرفها، فأيش تسألني عنها؟

وقال سفيان الثوري: المتعبِّد في بغداد كالمتعبِّد في الكَنيف.

وكان ابن المبارك كلما أقام يوماً ببغداد تصدق بدينار.

وقيل: كانت تُمسح ويؤدَّى خراجُها، فلما بناها أبو جعفر لم تُمسح بعد ذلك.

وقال الخطيب: ابتاع أبو جعفر ما بين قنطرة البردان إلى الجسر ولم يؤدِّ ثمنه، ورفع ذلك إلى هارون وابنه المأمون فلم يؤدِّيا شيئاً.

وكان عبد الله بن المبارك يَذمُّ الزَّاهد الذي يسكن بغداد، فقال: [من الخفيف]

أيها الزَّاهدُ الذي لبس الصُّو ... ف وأضحى يُعدُّ في الزُّهَّادِ
الزم الثَّغْرَ والتعبُّدَ فيه ... ليس بغداد مسكنَ العبَّادِ
إن بغداد للملوك مناخٌ ... ومَحلٌّ للقارئ الصيَّادِ[٢]

---

(١) في تاريخ بغداد ١/ ٢٩٣ : أخبثهم مؤذنوهم.

(٢) انظر تاريخ بغداد ١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦، ٣١٥ ـ ٣١٧.

ذكر من مدحها

قال يونس بن عبد الأعلى: قال لي الشافعي: يا أبا موسى، رأيت بغداد؟ قلت: لا، قال: ما رأيتَ الدنيا[١].

وقد مدحها جماعة من الشعراء، وقال طاهر بن المظفَّر بن طاهر الخازن شعراً ينشده: [من الطويل]

سقى الله صَوْبَ الغاديات محلَّةً ... ببغدادَ بين الكَرْخ فالخُلْد فالجسرِ
هي البلدةُ الحسناء خُصَّت لأهلها ... بأشياءَ لم يُجمعن مذ كنَّ في مصرِ
هواءٌ رقيقٌ في اعتدالٍ وصحَّةٍ ... وماءٌ له طعمٌ ألذُّ من الخَمْرِ
ودَجلتُها شَطَّان قد نُظما لنا ... بتاجٍ إلى تاجٍ وقصرٍ إلى قصرِ
تراها كمسكٍ والمياه كفضَّةٍ ... وحَصباؤها مثلَ اليواقيتِ والدُّرِّ

وقال أبو محمد: [من الوافر]

على بغدادَ مَعْدنُ كلِّ طِيبٍ ... ومَغنى نُزهَة المتنزِّهينا
سلامٌ كلما جَرحَت بلَحْظٍ ... عيونُ المشتهين المشتهينا
دخلنا كارهين لها فلما ... أَلِفناها خرجنا مُكرَهينا
وما حبُّ الديار بنا ولكن ... أَمَرُّ العيش فُرقةُ مَن هَوينا

وقال محمد بن الهمذاني: [من الطويل]

فدًى لكِ يا بغداد كلُّ مدينة ... من الأرض حتى خِطَّتي وبلاديا
فقد طفتُ في شرق البلاد وغربها ... وسَيَّرتُ خيلي بينها ورِكابيا
فلم أر فيها مثلَ بغدادَ منزلاً ... ولم أر فيها مثلَ دجلة واديا
ولا مثل أهليها أرقَّ شمائلاً ... وأعذبَ ألفاظاً وأحلى معانيا
وكم قائلٍ لو كان وُدُّكَ صادقاً ... لبغدادَ لم ترحل فكان جوابيا
يقيم الرجال الأغنياء بأرضها ... وترمي النَّوى بالمُقْتِرين المراميا

وقال علي بن محمد بن حَبيب: كتب إلي أخي من البصرة وأنا ببغداد: [من البسيط]

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٢٩٢، ٣٤٧، والمنتظم ٨/ ٨٤.

طِيبُ الهواء ببغداد يُصرِّفُني قِدْماً إليها وإن عاقَتْ مَعاذيرُ
فكيف صَبريَ عنها الآن إذ جمعتْ طِيبَ الهواءين مَمدودٌ ومَقصورُ[1]

ذكر حكم أراضيها

منع جماعة من العلماء بيع أرض بغداد، وأجازوا بيع أنقاضها دون أرضها، وبه قال الإمام أحمد وبشر الحافي رحمة الله عليهما، واحتجوا بأن عمر رضوان الله عليه وقف بغداد منه، وأجاز آخرون بيع أرضها وأنقاضها، واحتجوا بأن عمر رضوان الله عليه أقرَّ السَّواد في يد أهله، وأخذ منهم الخراج عوضاً عن الأرض، وهذا مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه، فإن عنده أرض السواد مملوكة لأهلها، يجوز بيعها لهم وتصرفهم فيها؛ لأن عمر رضي الله عنه ملكهم إياها[2].

وقولهم: إن عمر رضوان الله عليه وقفها لا يصح، وإنما وقف الشام في الصحيح من الروايات، ووضع الخراج على السواد.

ذكر أحاديث في ذمها

عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال: قال رسول الله ﷺ: «سيكون لبني عمي مدينة من قِبل المشرق، بين دجلة ودُجَيل وقُطْرُبُّل والصَّراة، تُشَيَّد فيها بالخشب والآجر والذهب، يسكنها شرار خلق الله وجبابرة أمتي، أما إن هلاكها على يد السُّفياني، كأني بها والله قد صارت خاوية على عروشها».

وفي رواية: «تكون مدينة بين دجلة والفرات، يكون فيها مُلك بني العباس، وهي الزَّوراء، تُذبح فيها الرجال كما تذبح الغنم» فقيل لعلي رضوان الله عليه: لم سُمّيت الزوراء؟ فقال لأن الحرب تدور في جوانبها حتى تطبقها.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تكون مدينة بين أنهار في أرض جوخى يقال لها: الزوراء، يسكنها جبابرة أمتي، يُعذَّب أهلها بأربعة أصناف:

---

(١) تاريخ بغداد ١/ ٣٥٦ ـ ٣٥٨.

(٢) انظر الخراج لأبي يوسف ٢٨، ٣٥، والمغني لابن قدامة ٦/ ٤٦٧، وشرح فتح القدير ٤/ ٣٥٩، وحاشية ابن عابدين ٤/ ١٧٧، وتاريخ بغداد ١/ ٢٩٢.

خسف ومسخ وقذف» قال البرقاني: ولم يذكر الرابع.

وحديث عن أنس لفظه: «تبنى مدينة بين دجلة ودُجَيل، هي أسرع ذهاباً في الأرض من وَتِد الحديد في الأرض الرّخوة».

وهذه الأحاديث واهية الإسناد لا تثبت[١].

قال البيهقي: لما بنى أبو جعفر بغداد انتدب له جماعة منهم الغلابي وعمر بن يحيى وعمار[٢] بن سيف، وكانوا من غلاة المتشيعين، فوضعوا مثل هذه الأخبار ليُنفِّروا الناس عن سكنى بغداد، وتكثر الشناعات على أبي جعفر.

وحج بالناس السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس، وكان على مكة، والمدينة رياح بن عثمان المُرِّي[٣]، وعلى الكوفة عيسى بن موسى، وعلى البصرة سَلْم بن قتيبة الباهلي، وعلى خراسان المهدي ونُوَّابه بها.

وفيها توفي

إبراهيم بن حسن

ابن حسن بن علي بن أبي طالب في سجن أبي جعفر، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان من العُبَّاد الزُّهَّاد الأجواد.

وله من الولد إسحاق، ويعقوب، وأم إسحاق، ورقية، وإسماعيل، أمهم رُبيحة بنت محمد بن عبد الله المخزومي، ومحمد، وعلي، وفاطمة، وحسنة لأمهات أولاد[٤].

---

(١) انظر هذه الأحاديث والكلام عليها في تاريخ بغداد ١/ ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٣٩، والموضوعات لابن الجوزي (٨٩٢ ـ ٨٩٦).

(٢) في (ب) و(خ): عثمان، والمثبت من المصدرين السالفين، فقد ورد من طريقه حديث جرير بن عبد الله البجلي، ولم يذكره المصنف.

(٣) في الطبري ٧/ ٦٤٩، والمنتظم ٨/ ٨٨ أن والي المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثي.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩.

إبراهيم بن عبد الله

ابن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو إسحاق، وقيل: أبو القاسم، وأمه هند بنت أبي عُبيدة بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العُزَّى بن قصي، وهو من الطبقة الخامسة من أهل المدينة.

وكان له من الولد: حسن، أمُّه أُمامة بنت عصمة بن عبد الله بن حَنظلة بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب. وعلي، لأم ولد.

وقد كان محمد بن عبد الله لما ظهر وغلب على مكة والمدينة وسُلِّم عليه بالخلافة؛ وجَّه أخاه إبراهيم هذا إلى البصرة، فدخلها أول يوم من رمضان سنة خمس وأربعين، فغلب عليها، وبَيَّض أهل البصرة معه، وخرج منهم ومعه عيسى بن يونس[1]، ومعاذ ابن معاذ، وعبَّاد بن العَوَّام، وإسحاق بن يوسف الأزرق، وجماعة كبيرة من الفقهاء وأهل العلم، فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوال.

وقتل أخوه محمد بالمدينة، فلما بلغه ذلك استعدَّ وخرج يريد أبا جعفر وهو بالكوفة، وكان عيسى بن موسى بالمدينة، فكتب إليه أبو جعفر يأمره أن يُقبل إلى الكوفة، وكان قد أحرم بعمرة، فرفضها وأقبل إلى أبي جعفر، فوجَّهه في القُوَّاد والجند والسلاح إلى إبراهيم، وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كبيرة أكثر من جماعة عيسى، فاقتتلوا بباخمرى وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة، وانهزم حُميد بن قَحْطبة وكان على مقدمة عيسى، وانهزم الناس معه، وعيسى يناشدهم الله فلا يَلْوون عليه، ومرُّوا منهزمين، وقال عيسى لحميد: الله الله في الطاعة، فقال: لا طاعة في الهزيمة.

ولم يبق مع عيسى أحد بينه وبين عسكر إبراهيم، وثبت عيسى في مئة رجل من خاصَّته وحشمه، فقيل له: لو تَنَحَّيتَ من مكانك حتى يَثوبَ الناس إليك فتَكُرَّ بهم، فقال: لا أزول من مكاني هذا حتى أُقتل أو يفتح الله علي، ولا يقال: إنه انهزم.

وتقارب الفريقان، وإذا قد أقبل فارس نحو عسكر إبراهيم قد عصب رأسه بعصابة

---

(١) في (خ) و(ب): عيسى بن موسى ويونس، والمثبت من طبقات ابن سعد ٧/ ٥٣٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٣٤، وسيرد أن عيسى بن موسى سار إلى إبراهيم وقاتله حتى استأصله.

صفراء، وغيَّر لَأمته، وإذا به حُميد بن قَحطبة، ورجع معه مَن كان قد انهزم، وخالطوا عسكر إبراهيم، واقتتلوا قتالاً شديداً؛ حتى قتل الفريقان بعضهم في بعض، وجاء إبراهيم سهم عائر لا يُدرى مَن رمى [به]، فوقع في حلقه فنحره، فتنحَّى عن موقفه وقال: أنزلوني، فأنزلوه وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨] أردنا أمراً وأراد الله غيره.

ثم جعل أصحابه يقاتلون دونه ويحمونه، ورأى حُميد اجتماعهم فأنكره، فقال لأصحابه: شدوا على تلك الحال على الجماعة، فشَدُّوا عليهم حتى أفرجوهم عن إبراهيم، ونزلوا فحَزُّوا رأسه وأتوا به عيسى بن موسى، فنزل وسجد، وبعث به إلى أبي جعفر.

وكان قتله يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذي القعدة وهو ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قُتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام، هذا قول ابن سعد[1].

وقال الطبري: لما أُهبط آدم من الجنة صَعِد على أبي قُبَيس، فوضع الله له الأرض حتى رأى جميع ما فيها، وقال الله له: هذه كلها لك، قال: يا رب، كيف أعلم ما فيها؟ فقال: إذا رأيت نجم كذا كان كذا، فكان يعلم ذلك بالنجوم.

ثم أنزل الله عليه مرآة يرى بها ما في الأرض، فلما مات آدم عليه السلام أخذها فقطس الشيطان، فكسرها، وبنى عليها مدينة جابرت بالشرق، فلما كان سليمان عليه السلام استدعى فقطس وطلبها منه، فأخرب جابرت وأتاه بها، فكان ينظر فيها فيرى ما في أقطار الأرض، حتى مات سليمان، فوثب بعض الشياطين عليها فذهب بها، وبقيت منها بقية، فتوارثها بنو إسرائيل، حتى صارت إلى رأس الجالوت، فأُتي بها إلى مروان ابن محمد، فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى، فيرى فيها ما يكره، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت، ودفعها إلى جارية له، فجعلتها في كُرسفة في حَجَر.

فلما ولي أبو جعفر الأمر سأل عنها، فأُحضرت إليه، فكان يحكُّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى ما فيها، ويرى عدوَّه من صديقه، فكتب إلى رياح بن عثمان: إن

(١) طبقاته ٧/ ٥٤٠، وما بين معكوفين منه.

محمداً في بلاد فيها الأُتْرجُّ والعنب، وببلاد فيها كذا وكذا فاطلبه، وتارة هو في [شعب من] شِعاب رَضوى، فكان يطلبه، ثم نظر يوماً فيها فقال: محمد وإبراهيم معي في عسكري بالكوفة، وطلبهما أشدَّ الطلب، فمضى محمد إلى المدينة، وإبراهيم إلى البصرة، وخرجا عليه[1].

قال المصنف رحمه الله: وليس العجب من الطبري؛ فإن من عادته أن يأتي بالغرائب والعجائب، وإنما العجب من جدّي أن يحكي مثل هذا في «المنتظم»، وهذا شيء تأباه العقول السليمة والأذهان الصحيحة، وكيف يرى محمداً وإبراهيم ولا يعرف مكانهما؟

وقال غيره: لما حبس أبو جعفر عبد الله وأهله أشفق محمد وإبراهيم منه، فخرجا إلى عدن، ثم مضيا إلى الهند، ثم عادا إلى الكوفة وبها أبو جعفر، وكاتبهما قوم من شيعتهما بالكوفة، ووعدوهما أن يثوروا بأبي جعفر.

ومضى إبراهيم إلى البصرة، ودعا الناس فأجابه خلق كثير، ثم أظهر الدعوة، وغلب على البصرة والأهواز وفارس، وأقام ظاهراً عليها حتى قُتل أخوه محمد بالمدينة، فلما قتل ازداد الناس حرصاً على قتال أبي جعفر، فخرج إبراهيم في رمضان في مئة ألف، فقال عفان بن مسلم الصَّفَّار: حَزرتُ عسكر إبراهيم فإذا به أقل من عشرة آلاف.

وقيل: إن مقدم إبراهيم البصرة كان في سنة ثلاث وأربعين مُنصرَفَ الناس من الحج، وكان الذي أقدمه وعادله في محمله يحيى بن زياد بن حسان النَّبَطيّ، وأنزله منزله، وقام بأمره، وبايعه الناس سراً إلى سنة خمس وأربعين.

وكان إبراهيم يقول: تنقَّلتُ في البلاد؛ حتى دخلت على أبي جعفر، وأكلتُ على مائدته، وخرجتُ وقد سكن الطَّلَبُ عني، ولما خط بغداد كاتبني قوم من أصحابه وقالوا: اقدم علينا، فقدمت وأبو جعفر ببغداد نازل في الدَّير وقد خطَّ البناء.

وروي أن المنصور قال للمسيب: والله إن إبراهيم معي في عسكري، ثم خرج ينظر إلى القنطرة العتيقة التي أمر ببنائها على الصَّراة؛ فوقعت عينه على إبراهيم، فاندس في

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥، والمنتظم ٨/ ٤٧، وما بين معكوفين منهما.

الناس، وأتى قائداً فلجأ إليه، ولجَّ أبو جعفر في طلبه.

وكان مع إبراهيم رجل يقال له: سفيان العَمِّي، فاحتال في إخراجه، ومضى إلى البصرة، وغلب عليها، وأخذ عاملها سفيان بن معاوية فحبسه، ووجد في بيت مالها ست مئة ألف ففرَّقها، وعزم على قصد الكوفة.

وبلغ أبا جعفر، فكتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة: إذا قرأت كتابي هذا فدع ما أنت فيه واقدم عاجلاً، ولم يكن عند أبي جعفر سوى ألفي رجل، وكانت عساكره متفرقة مع المهدي بالري ثلاثون ألفاً، وبإفريقية أربعون ألفاً، فكتب إلى سَلْم بن قتيبة فقدم عليه من الرّيّ، فاستعمله على ميسرة عيسى وقال: لا يَهولنَّك جمعُ إبراهيم؛ فوالله إن ابني عبد الله لجملا بني هاشم المقتولان جميعاً. وأقام على الميمنة حُميد بن قَحطبة.

وقال السندي بن شاهك: لما استفحل أمر إبراهيم أقام المنصور نيفاً وخمسين ليلة في مُصلّاه، ينام عليه ويقعد عليه، وعليه جُبَّة صوف قد اتَّسخ جَيبُها، فما غيَّرها، وهجر اللذات والنساء، وأُهديت إليه في تلك الأيام امرأتان إحداهما فاطمة بنت محمد ابن عيسى بن طلحة بن عبيد الله، والأخرى أمة الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أَسيد بن أبي العِيص، فلم يلتفت إليهما ولا رآهما، قيل له في ذلك فقال: ليست هذه الأيام من أيام النساء حتى أعلم رأس إبراهيم لي أو رأسي له.

وكان جعفر ومحمد ابنا سليمان بن علي قد أخرجهما إبراهيم من البصرة، فكتبا إلى أبي جعفر يخبراه بخبر إبراهيم، فبعث إليهما خيلاً، وأمرهم أن يقيموا معهم، وكتب إليهما يُوبِّخُهما، ويُعجِّزهما في خروج إبراهيم، وكتب في أسفل كتابه: [من البسيط]

بلِّغ بني هاشمٍ عني مُغَلْغَلَةً ... فاستيقظوا إن هذا فِعلُ نُوَّامِ
تعدو الذئابُ على مَن لا كلابَ له ... وتتَّقي مَرْبِضَ المستيقظ الحامي

وقال الحجاج بن قتيبة بن مسلم: دخلت على أبي جعفر وقد جاءه فَتْقُ البصرة وفارس والأهواز، وهو يَنكت الأرض ويتمثل: [من الكامل]

ونَصبتُ نفسي للرِّماح دَريئةً ... إن الرئيس لمثل ذاك فَعولُ

فقلت: يا أمير المؤمنين، أنت على عدوك كما قال الأعشى: [من المتقارب]

وإنْ حَـرْبُـهـم أُوقِـدَتْ بـيـنـهـم فـحَـرَّت لـهـم بـعـد إبـرادِهـا
وُجِـدتَ صَـبـوراً عـلـى رُزْئـهـا وكَـرِّ الـحـروب وتَـردادِهـا[1]

فقال: يا حجَّاج، قد عرف إبراهيم صعوبةَ جانبي، وإنما جَرَّأه على الخروج أهلُ البصرة والأهواز وغيرها، ثم استرجع وقال: قد استعنت عليه بالله تعالى، ولا قوة إلا به.

قال: ودخلت عليه والعساكر محيطة به، ولقد كان عليه مئة ألف سيف بالكوفة كامنة بإزاء عسكره، ينتظرون صيحة واحدة فيثبون به، فوجدتُه صقراً أحوزيًّا مُشَمِّراً، قد قام إلى ما نزل به من النَّوائب يَمرُسها، وإنه كما قيل: [من الرجز]

نَـفْـسُ عـصـامٍ سَـوَّدتْ عِـصـامـا وعـلَّـمـتْـه الـكَـرَّ والإقـدامـا
وصـيَّـرتْـه مَـلِـكـاً هُـمـامـاً[2]

وقال أبو عبيدة: أُهديت التميمية[3] إلى أبي جعفر في تلك الأيام فما نظر إليها، وكان إبراهيم قد تزوج بالبصرة نهيكة[4] بنت عمر بن سلمة، فكانت تأتيه في مُصَبَّغاتها وألوان ثيابها.

ذكر مسير إبراهيم إلى أبي جعفر

قال: ولما عزم إبراهيم على قصد أبي جعفر أشار عليه جماعة من قُوَّاده أن يقيم بالبصرة ويبعث الجنود، فإن ظهروا عليهم أمدَّهم بغيرهم.

وقال أهل الكوفة: إن بالكوفة أقواماً لو رأوك لماتوا دونك، فما زالوا به حتى سار نحو أبي جعفر.

وقال عبد الله بن جعفر المديني: خرجتُ مع إبراهيم ليلة يطوف في عسكره، فسمع أصوات طَنابير وغناء، فقال: ما أطمع في نصر عسكر هذا فيه.

---

(١) ديوانه ١٢٣ ـ ١٢٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٤٠ ـ ٦٤١.
(٢) الأبيات للنابغة الذبياني، وهي في ديوانه ١١٨، وتاريخ الطبري ٧/ ٦٤١.
(٣) في الطبري ٧/ ٦٤١: اليتيمة.
(٤) في تاريخ الطبري ٧/ ٦٤١، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤٥: بهنكة.

وسار إليه عيسى بن موسى في خمسة عشر ألفاً، وحُميد بن قَحطبة على مُقدّمته في ثلاثة آلاف، وودَّعهم أبو جعفر إلى بعض الطريق، وعاد إلى البصرة في نفر يسير.

وقال أوس بن مهلهل: لما سار إبراهيم من البصرة سبق أصحابه يرتاد لهم منزلاً، فسمعته يقول: [من الوافر]

أمورٌ لو تدبَّرها حَليمٌ ... إذاً لنهى وهَيَّب ما استطاعا
ومَعصيةُ الشَّفيقِ عليك مِمّا ... يَزيدك مرّةً منه استماعا
وخيرُ الأمر ما استعجلْتَ منه ... وليس بأن تَتَبَّعَه اتِّباعا
ولكنَّ الأديمَ إذا تَفرَّى ... بِلًى وتَعَيُّناً غلب الصَّناعا

فعلمت أنه ندم على مسيره[1].

ولما توسط إبراهيم المنازل قال له عبد الواحد بن زياد[2] بن لبيد: إن هذه بلاد قومي وأنا أعرف الناس بها، فلا تقصد قصْد عيسى، ولكن دعني أسلك بك طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت بالكوفة معه، قال: لا، فقيل له: إنك غير ظاهر على هذا الأمر حتى تأخذ الكوفة، فإذا أخذتَها هرب إلى حُلوان فسرتَ إليها، فلم يقبل.

ولما نزل باخمرى قيل له: خَنْدِقْ عليك، فقال أصحابه: نحن في مئة ألف لا يُخندق علينا، وقيل له: كَرْدِس أصحابَك كراديس فإن الصف ينتقض، وكلما انهزم كردوس لقي آخر، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا﴾ [الصف: ٤][3].

وقال له المضاء لما نزلوا باخَمرى: إن هؤلاء القوم مُصَبِّحوك غداً بما يَسدُّ عين الشمس من السلاح، وأصحابك عراة، فدعني أُبيِّتهم وأُشَتِّت جموعهم، فقال: إني أكره البَيات والقَتْل، فقال له المضاء: تكره القتل وتطلب الملك.

وقال عيسى بن موسى: لما فَصلتُ عن أبي جعفر قال لي: إن هؤلاء الخُبثاء ـ يعني المنجِّمين ـ يزعمون أنك مُلاقي إبراهيم، وتكون لك جولة، ثم تظفر وتفيء إليك أصحابك.

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٣، والأبيات للقطامي وهي في ديوانه ٣٤ ـ ٣٥.

(٢) في(ب) و(خ): يزيد، والمثبت من الطبري ٧/ ٦٤٣.

(٣) في الطبري ٧/ ٦٤٤ أن قائل ذلك أصحاب إبراهيم لا هو.

قال عيسى: فلما التقينا انهزم عني أصحابي، وبقيت في ثلاثة أو أربعة، فقال لي مولى لي: ما وقوفُك وقد ذهب الناس؟ فقلت: والله لا نظر أهل بيتي إلى وجهي وقد انهزمتُ عن عدوي وعدوّهم، فوالله لكان أكثر ما ترى أنني كنت أقول للمُنهَزِمة: أقرئوا أهلَ بيتي مني السلام وقولوا لهم: إني لم أجد ما أفديكم به غير نفسي، فبينا نحن كذلك إذ جاء محمد وجعفر ابنا سليمان بن علي إبراهيمَ من وراء ظهره، فكرُّوا عليهم، ورجعنا نحن من ورائهم، ووالله لولا ابنا سليمان لافتضحنا.

وكان من صنع الله بنا أن أصحابنا لما انهزموا اعترض لهم يومئذ نهر، ولم يجدوا مَخاضة، فكروا راجعين إلينا فكان الفتح. وكان بَثَقَ البُثوقَ قومٌ من أصحاب أبي جعفر فأصبح عسكر إبراهيم في الوحل والماء[1]، وقيل: بل إبراهيم بثق البثوق ليكون القتال من جهة واحدة، فلما انهزم أصحاب عيسى منعهم الماء من الهرب، فرجعوا، وثبت إبراهيم في خمس مئة، وقيل: في سبعين، فجاءه سَهْم عائر، فوقع في نحره فسقط، واجتمع أصحابه يقاتلون دونه، وجاءهم حُميد بن قَحطبة فقاتلهم فانفرجوا عنه، فنزلوا وحَزُّوا رأسَه.

وقيل: إن الحرَّ آذاه، فحلَّ أزرار قَبائه، وحسر الزَّرَد عن لَبَّته، فجاءه سهم فوقع في نحره، فاعتنق فرسه وكرَّ راجعاً، وأحاطت به الزيدية.

وفي رواية: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم الرايات، فنادى منادي إبراهيم: لا تتبعوا مُدبراً، فكرَّت الرايات راجعة، ورآها أصحاب عيسى فرجعوا، فكانت الهزيمة.

وقُتل أصحاب عيسى، وبلغ أوائلهم الكوفة، فقال أبو جعفر: أعِدُّوا لنا الدواب والإبل، وكان عزمه أن يقصد الريّ.

وكان نوبخت المنجِّم قد دخل عليه عند مسير عيسى فقال: يا أمير المؤمنين، الظَّفَر لك وسيقتل إبراهيم، فلم يقبل منه ذلك، فقال: احبسني عندك؛ فإن لم يكن الأمر كما قلت وإلا فاقتلني، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بقتل إبراهيم، فقال أبو جعفر: [من الطويل]

---

(١) في (ب) و(خ): يوم من أصحاب أبي جعفر فأصلح... والتصويب مستفاد من تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٦، ونصُّ عبارته: كان بباخمرى ناسٌ من آل طلحة، فمخروها على إبراهيم وأصحابه، وبثقوا الماء، فأصبح أهل عسكره مرتطمين بالماء.

فألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى[١]

وأقطع نوبخت ألف جَريب بنهر جَوْبَر[٢] ، وأتي برأس إبراهيم إلى الكوفة ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذي القعدة، فأمر به أبو جعفر فنُصِب في السوق.

وقيل: إن الرأس لما وُضع بين يدي أبي جعفر جعلت دموعه تسيل على خدِّ إبراهيم، ثم قال: والله إنْ كنتُ لهذا لكارِهاً، ولكن ابتُليتَ بي وابتليتُ بك.

ولما وُضع الرأس بين يدي أبي جعفر ودخل الناس؛ جعل كلُّ واحدٍ يُسيءُ القولَ في إبراهيم وينال منه، يلتمسون رضا أبي جعفر، وأبو جعفر ساكت متغيِّر اللون، حتى دخل جعفر بن حنظلة البهرانيّ فقال: عظَّم الله أجرَك يا أمير المؤمنين في ابن عمك، وغَفر له ما فرط منه في حقِّك، فأسفر وجه أبي جعفر، وأقبل عليه وقال: مرحباً وأهلاً يا أبا خالد، إلى هنا إلى هنا، فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه موقعاً، فدخلوا وقالوا مثل قول جعفر.

وقد رثى إبراهيم جماعة منهم: عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير فقال:

يا صاحبيَّ دعا الملامَةَ واعلما ... أن لستُ في هذا بألومَ منكما
وقفا بقبر ابنِ النبي هُديتما ... لا بأس أن تقفا به وتسلما
قبر تضمَّن خيرَ أهلِ زمانه ... حَسَباً وطيبَ سجيَّةٍ وتكرُّما
شَهْمٌ نفى بالعدلِ جَوْرَ زمانه ... ولقي عظيماتِ الأمور وأنعما
لم يَجتنبْ قصْدَ السبيل ولم يَجُرْ ... عنه ولم يفتح بفاحشةٍ فما
ضحَّوا بإبراهيم في يوم الوَغى ... فتصرَّمت أيامه وتَصرَّما
بطلٍ يخوض بنفسه غَمراتها ... لا طائشاً رعشاً ولا مُستسلما
أضحى بنو حسنٍ أُبيح حَريمُهم ... فينا وأصبح نَهبُهم مُتَقَسَّما
ونساؤهم في دورهنَّ نوائحٌ ... سَجْعَ الحمام إذا الحمامُ ترنَّما

(١) تمامه: كما قرَّ عيناً بالإياب المسافرُ، انظر تاريخ الطبري ٧/ ٦٤٨ .

(٢) في (ب) و(خ): بنهر حور، والمثبت من الطبري ٧/ ٦٤٨، وفي الكامل ٥/ ٥٧١ : حويزة، ولعل الصواب: نهر جوبرة، كما ذكر ياقوت في معجمه.

يتوسَّلون بقتلهم ويرونه شَرفاً لهم عند الإمام ومَغنما
والله لو شهد النبيُّ محمدٌ صلى الإله على الرسول وسلَّما
إشراعَ أمته الأسنَّةَ لابنه حتى تقطَّرَ من ظُباتهم دَما
حقًّا لأيقن أنهم قد ضيَّعوا تلك القرابةَ واستحلُّوا المَحْرَما[1]

وقال الهيثم: لما خرج إبراهيم بالبصرة صعد أبو جعفر المنبر وقال: [من البسيط]

ما لي أُكفكفُ عن سعد ويَشتُمني ولو شتمتُ بني سعد لقد سكنوا
جَهلاً علينا وجُبناً عن عدوِّهم لبئست الخَلَّتان الجَهْلُ والجبنُ

ثم قال: أما والله لقد عَجزوا عن أمرٍ قُمنا به، فما حَمِدوا القائم، ولا عَضدوا الكافي، ولا شكروا المنعم، أشرب منها رَنْقاً على غَصَص، وأبيت على مَضض، كلا والله إني لا أصل ذا رَحِمٍ بقطيعة نفسي، ولئن لم يُرْضَ مني بالعفو ليُطْلَبنَّ ثم لا يوجد عندي[2]. وذكر كلاماً طويلاً.

وكان فقهاء الكوفة والبصرة يُحرِّضون الناس على القتال مع محمد وإبراهيم، فقال عبد الله بن إدريس: رأيت أبا حنيفة وهو قائ على درجته، ورجلان يستفتيانه في الخروج مع محمد وإبراهيم فقال: أسرعا ولا تَنِيا.

وقال الأعمش لجماعة من أعيان الكوفة: ما يُقعدكم عنه؟ والله لو كنت بصيراً ما سبقني إليه أحد.

وقال هشام بن حسان: قاتلوا أبا الدوانيق.

وسئل شعبة عن هذا فقال: القتال مع إبراهيم مثل القتال ببدر الصغرى.

وكان صالح المُرِّي بالبصرة يخطب ويقول: قاتلوا المارق مع ابن رسول الله ﷺ وابن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

وكان بشير الرحَّال يقصُّ بالبصرة على الناس، ويعرِّض بأبي جعفر ويقول: العصبي من العصبة، ما أشبه الليلة بالبارحة، أيها الناس، قاتلوا مَن أماتوا الكتاب والسنة،

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣.
(٢) تاريخ الطبري ٨/ ٩٢، وأنساب الأشراف ٣/ ٣٠٣، ومروج الذهب ٦/ ١٩٦.

وعطَّلوا الحدود، ودَعَوا إلى طاعتهم دون طاعة الله.

وكان يمشي في الأسواق ويقول: أيها الناس، كنتم تلتمسون رجلاً يقوم بالعدل فقد أتاكم الله به، فانصروه تَرشدوا، وقوموا معه تُفلحوا، فمَن قَدَر على الخروج بنفسه فليخرج، ومن لم يقدر فليُعنه بالمال والسلاح، ثم يقول: [من الرجز]

أبا الدَّوانيقِ لقيتَ غيّا ... ابرُزْ تُلاقي أسداً شَرِيّا
أبيضَ يدعو جدَّه عليّاً ... وجدَّه لأمه النبيَّا
وأنت تدعو الجدَّ بَرْبَرِيّا

واختلفوا في المكان الذي قُتل فيه إبراهيم فقيل: باجَمرا وباجُميرا، بجيم وراء مهملة، وباخمرا بخاء، وباخُميرا بخاء معجمة وراء مهملة، قال الجوهري: باخَمرا مكان بالبادية وبه قبر إبراهيم بن عبد الله بن حسن[١]، وقد أشار إليه دِعْبِل فقال: [من الطويل]

قبورٌ بكُوفانٍ وأخرى بطَيبةٍ ... وأخرى بفَخٍّ مالها صَلواتي
وأخرى بأرضِ الجُوزَجانِ محلُّها ... وقبرٌ بباخَمْرى لدى الغرفاتِ[٢]

وقال أبو اليقظان: لما وُضع رأس إبراهيم بين يدي المنصور قال للربيع: اذهب به إلى أبيه وأهله ـ وكانوا في السجن ـ فجاء الربيع بالرأس إلى عبد الله، فرآه يُصلّي، فقال له: أسرع فلما سَلَّم نظر إلى الرأس، فأخذه فوضعه في حجره وقال: رحمك الله أبا إسحاق، لقد وفيتَ بعهد الله ولم تَنقُضِ الميثاق، فقال له الربيع: فكيف كان في نفسك[٣]؟ فقال كان والله كما قال القائل: [من الطويل]

فتًى كان يحميه من العار سَيفُه ... ويكفيه سوءاتِ الذُّنوب اجتنابُها

ثم قال للربيع: قل لصاحبك: قد مضى من بؤسنا أيام ومن نعيمك أيام، والملتقى[٤] بيننا القيامة، والحاكم الله، فأبلغه ما قال الربيعُ، فما رأيته منكسراً مثل انكساره حين قلتُ له.

---

(١) صحاح الجوهري (خمر).
(٢) مروج الذهب ٦/ ١٩٥، وديوانه ص٨٠.
(٣) في مروج الذهب ٦/ ٢٠٢ : كيف كان حال أبي القاسم في نفسه.
(٤) من هنا وقع سقط في (ب) يمتد ثلاث صفحات إلى بداية ترجمة حسن بن حسن.

وقد رُوي أن عبد الله مات قبل مقتل محمد ابنه، وإبراهيم قُتل بعد محمد.

قال البلاذري: حمل رأس إبراهيم ومحمد إلى خراسان فطِيف بهما، ثم رُدَّا إلى بغداد، فدفنهما الذي حملهما في منزله بدرب أبي حنيفة(١).

وقال حُميد بن قَحطبة: دخلت على أبي جعفر وبين يديه مَصارينُ البطِّ مَحشوَّةٌ بالملح والسكر فقال: أين إبراهيم؟ أراد أن يحول بيني وبين هذا.

ثم خطب أبو جعفر أهلَ الكوفة فنال منهم وسبَّهم وقال: يا أهل هذه المَدَرَة السوداء الخبيثة، بلغني أنكم تقولون: سمع في عسكر إبراهيم قائلاً يقول: أَقْدِم حَيْزُوم، تُشبِّهونه بعسكر رسول الله ﷺ يوم بدر، أكفارٌ نحن؟ لعنكم الله ولعن مَدَرَتكم، تُريدون قتالي إن ظهر إبراهيم؟ قد بلغني أن فيكم مئة ألف سيف معه، والعجب للحجاج كيف لم يقتل مقاتلكم، ويسبي ذراريكم وقد كان ناصحاً لبني أمية، فقام إليه المسيّب بن زهير الضَّبّي وقال: والله ما سبقنا الحجاج إلى أمر تخلَّفنا عنه، وما خلق الله أعزَّ علينا من نبينا ﷺ، وقد أَمَرْتَنا بقتل أولاده فأطعناك، فهل نصحناك؟ فقال له أبو جعفر: اقعد لا قعدت(٢).

وقال أبو عمرو بن العلاء: حضرتُ مجلسَ إبراهيم بن عبد الله، ففقد رجلاً من أصحابه، فسأل عنه فقال له رجل: تركتُه يريد أن يموت، فضحك بعض القوم وقال: في الدنيا أحدٌ يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربية، معنى يريد: يكاد، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] أي: يكاد، فقلت له: ما نزال بخير ما دام فينا مثلك(٣).

وقال المدائني: كتب أبو جعفر إلى أهل المدائن بعد مقتل إبراهيم ومحمد أبياتاً لسُبَيع بن ربيعة بن معاوية اليَربوعيّ، وهي: [من الطويل]

ولولا دِفاعي عنكمُ إذ عَجزتُم ... وبالله أَحمي عنكمُ وأدافعُ
لكنتم ذُنابى أهلِ مروانَ مثل ما ... عهدناكمُ والله مُعْطٍ ومانعُ

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٤٥.
(٢) مروج الذهب ٦/ ١٩٨، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤١.
(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٥٠.

لضاقت[١] أمورٌ منكمُ لا أرى لها كُفاةً ومالا يَحفظُ الله ضائعُ
فسَمُّوا لنا مَن طَحْطَحَ الناسَ عنكمُ ومَن ذا الذي تُحنى عليه الأضائعُ
وما زال منّا قد علمتم عليكمُ على الدَّهرِ إفضالٌ يُرى ومنافعُ
وما زال منكم أهلُ غَدرٍ وجَفْوَةٍ وبالبغي[٢] مُغتَرٌّ وللرَّحْم قاطعُ
ودَبَّ رجالٌ للرِّياسةِ منكمُ كما دَرجَتْ تحت الغَديرِ الضَّفادِعُ

ثم كتب في أسفل الكتاب: والله لقد عجزوا عن أمرٍ قُمنا به، فما شكروا، ولقد مهَّدوا فاستوعروا، والله لا أكرم أحداً بإهانة نفسي، ولئن لم تقبلوا الحق لتَطلُبُنَّه ثم لا تجدونه[٣]، والسَّعيد مَن وُعِظ بغيره.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ: لما قُتل إبراهيم بباخمرا حَشَرنا أبو جعفر من المدينة، فلم يدع بها [منا] محتلماً، فقدمنا الكوفة عليه، فأقمنا ببابه شهراً نتوقَّع القتل، فخرج إلينا بعد ذلك الربيع الحاجب فقال: أين هذه الغلومة[٤]؟ فقلنا: ها نحن، فقال: ليدخل على أمير المؤمنين رجلان من ذوي الحِجا.

قال جعفر: فدخلتُ عليه والحسن بن زيد، فلما صرنا بين يديه قال لي: أنت الذي تعلم الغيب؟ قلت: لا يعلم الغيب إلا الله، قال: أنت الذي يُجبى إليه الخراج؟ قلت: إنما يُجبى الخراجُ إلى أمير المؤمنين. قال: هل تدرون لم دعوتُكم؟ قلت: لا قال: أردتُ أن أهدِم ديارَكم، وأُغوِّرَ قُلُبَكم، وأقطع نخيلكم، وأُنزلكم بالسَّراة بحيث لا يجيئكم أحد من أهل العراق ولا من غيره؛ فإنهم لكم مفسدة.

فقلت: إن سليمان ملك فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصبر، وإن يوسف ظُلم فغفر، وأنت من ذلك السِّنخ. فتبسم وقال: أعِد، فأعدتُ، فتبسم وقال: مثلُك يكون زعيم القوم، قد عفوتُ عنكم، ووهبتُ لكم جُرمَ أهل البصرة.

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ٩٥: لضاعت.

(٢) في الطبري وأنساب الأشراف ٣/ ٣٠١: وبالله.

(٣) في تاريخ الطبري ٨/ ٩٢: والله لئن لم يقبلوا الحق ليطلبنه ثم لا يجدونه عندي.

(٤) في الفرج بعد الشدة ١/ ٣١٣: أين هؤلاء العلوية.

ثم قال: حدِّثني عن آبائك، فقلت: حدثني أبي، عن جدي، عن أبيه عن علي[١] عليه السلام. قال: قال رسول الله ﷺ: «صِلةُ الرَّحم تعمرُ الدِّيار، وتُطيل الأعمار، وإن كانوا كفاراً».

قال: ما أردتُ هذا.

فقلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ: «إن الأرحام معلَّقةٌ بالعرش تنادي: يا رب، صِلْ مَن وَصَلني، واقطع من قطعني». فقال: ما أردْتُ هذا.

قلت: حدثني أبي، عن آبائه، عن علي عليه السلام، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن ملكاً من ملوك الأرض كان قد بقي من عمره ثلاث سنين، فوصل رحمه، فجعلها الله ثلاثين سنة». فقال: هذا أردت. ثم أكرمَنا ووصَلَنا وردَّنا إلى المدينة.

حسن بن حسن

[ابن حسن] بن علي بن أبي طالب[٢]، أبو جعفر[٣]، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كان من العلماء الزهَّاد، مات في السجن بالكوفة في الهاشمية.

وكان له من الولد: عبد الله، مات في السجن أيضاً. وعلي السجَّاد، سمِّي بذلك لعبادته، مات أيضاً في السجن، كان يسجد في كل يوم ألف سجدة، وكان أفضلَ أهل زمانه نُسكاً وورعاً وعبادة، ولا يتناول لأحد من أهله طعاماً ولا تمرة، ولا من الأقطاع التي أقطعهم[٤] أبو العباس وأبو جعفر، ولا يتوضّأ من تلك العيون، ولا يشرب منها، وكان السجان يحبّه ويكرمه، ويَلطف به لما يرى من عبادته، وولده حُسين بن علي الخارج بفخّ في زمن الهادي، وسنذكره إن شاء الله.

وحسين[٥]، أمهم أم حبَّان بنت عامر بن عبد الله بن بشر بن عامر مُلاعب الأسِنَّة بن

---

(١) في (خ): عن جده عن علي.

(٢) ما بين معكوفين من طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٨، وتهذيب الكمال (١١٩٨)، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٤٤.

(٣) في طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩ أنها كنية ولده عبد الله.

(٤) هنا ينتهي السقط في (ب) المشار إليه قبل صفحات.

(٥) في طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٩، ونسب قريش ٥٦، وجمهرة ابن حزم ٤٢: وحسن، والمثبت موافق لنسخة =

مالك بن جعفر بن كِلاب. وعباس بن حسن مات في السجن أيضاً، وأمه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر بن عثمان بن عمرو التيمي. وعلي الأصغر بن حسن، وفاطمة، أمهما أم حَبيب بنت عمر بن علي بن أبي طالب. وأم سلمة، وأم كلثوم ابنتا حسن، وهما لأم ولد.

وقال الخطيب: كان السفاح قد اختصّ بعبد الله بن حسن بن حسن اختصاصاً كلياً، بحيث كان يقعد معه بغير سراويل في قميص واحد، وكان يعدُّه والداً، وكان يسأله عن ابنيه محمد وإبراهيم كثيراً، فقال عبد الله يوماً لأخيه الحسن: إنه قد أكثر في طلبهما، فقال له حسن: إذا سألك عنهما فقل: علمُهما عند عمهما الحسن، فدعا الحسن وسأله عنهما فقال: يا أمير المؤمنين، أكلِّمُك كما يكلم الرجل ابنَ عمه، أم بهيبة الخلافة؟ قال: بل كما يكلم الرجل ابن عمه، قال له: أنشدك الله، إن كان قد قُدِّر لمحمد وإبراهيم أن يليا من أمور الناس شيئاً، فجهدت أنت وأهل الأرض أن يردوا ما قدَّر الله لهما؛ أتقدرون على ردِّه؟ قال: لا. قال: فأنشدك الله، إن كان الله لم يُقدِّر لهما من الأمر شيئاً، فاجتمع أهل الأرض أن ينالا مالا قُدِّر لهما أينالاه؟ قال: لا. قال: فما تنغيصك على هذا الشيخ النعمة التي أنعمتَ بها عليه كلّ وقت تطلبهما منه؟ فقال أبو العباس: لا أذكرهما بعد اليوم، فما ذكرهما حتى فرَّق الموت بينهما.

وكانت وفاة الحسن في ذي القعدة بالهاشمية في حبس أبي جعفر وله ثمان وستون سنة[1].

رياح بن عثمان المُرِّيّ

وهو ابن عم مُسْرِف بن عُقبة المُرِّيّ الذي بعثه يزيد بن معاوية إلى المدينة فأباحها ثلاثاً، وفعل فيها ما فعل.

ولما انتشر أمر إبراهيم ومحمد ابني عبد الله بن حسن استشار أبو جعفر عيسى بن موسى فيمن يوليه المدينة فقال: ولِّ رجلاً من أهل بيتك له خبرة بالأمور، ومُره بالبحث

= من طبقات ابن سعد.

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦، والمنتظم ٨/ ٩٠، وتهذيب الكمال (١١٩٨).

عن أمرهما، فقال: إن ولَّيتُ رجلاً من أهل بيتي يمنعه الرحم والقرابة من مكروههما وطلبهما، فقال: ولِّ رجلاً من أهل العراق فقال: إن أهل العراق قد امتزجت محبة علي بن أبي طالب بدمائهم وأبشارهم، فيمنعه ذلك منهما، ولكن أهل الشام قاتلوه وسفكوا دم أولاده هم وأبناؤهم، فقد توارثوا بُغضه، ورياح بن عثمان المري ابن عم مسرف بن عقبة؛ قد فعل بأهل المدينة ما فعل، فولاه، وأمر بطلبهما، فدخل المدينة، وصعد المنبر وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب: ١٣]، أنا ابن عم مسلم بن عُقبة، الشديدُ الوطأة عليكم، الوَبيلُ العقابِ لكم، الخبيثُ السيرة فيكم، وأنتم عقب الذين حصدهم سيفه، وايم الله، لأحصدنّ منكم من بقي، ولأَسُومنّكم سوء العذاب. ثم نزل[١]، وكان ظلوماً غشوماً فاسقاً.

ووقف على عبد الله بن حسن فقال له: أيها الشيخ، والله ما استعملني أمير المؤمنين لقرابة قريبة، ولا ليدٍ سلفت لي إليه، ووالله لا لعبتَ بي كما لعبتَ بابن القَسْري وزياد الحارثي، والله لأزهقنَّ نفسك أو تأتي بابنيك، فرفع عبد الله رأسه إليه وقال: كأني بك والله قد ذُبحتَ كما تُذبح الشاة، فكان كما قال.

ومعنى هذا أن زياداً الحارثي كان يكره البحث عن ابني عبد الله، وينشد: [من الوافر]

أُكَـلِّـفُ ذنـبَ قـومٍ لـسـتُ مـنـهـم وما جَنتِ الشّمالُ على اليمينِ[٢]

وكذا محمد القسري.

وقال عمر بن شبة: لما ظهر ذكر إبراهيم ومحمد استشار أبو جعفر أبا الشعثاء[٣] من قيس بن عَيلان في من يولي المدينة، فقال: ولِّ رجلاً من آل طلحة أو الزبير فإنهم لهم عَدوّ، فقال: كيف أنهز[٤] أهلَ بيتي بعدوِّهم؟ ولكن أختار لها صُعيليكاً من العرب، فولَّى رياح بن عثمان، فقدم المدينة في رمضان سنة أربع وأربعين، ونزل دارَ مروان،

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٣١.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٧/ ٥٣٠، ٥٣٣.

(٣) في تاريخ الطبري ٧/ ٥٣١ : أبا السعلاء، وفي الكامل ٥/ ٥١٩ : أبا العلاء.

(٤) نهزه: ضربه ودفعه، وفي الطبري: ولكني أعاهد الله ألا أثّر من أهل بيتي بعدوي وعدوهم، وفي الكامل: ولكني أعاهد الله لا أنتقم من بني عمي وأهل بيتي بعدوي وعدوهم.

ثم أقبل على بعض الناس وقال: هذه دار مروان؟ قالوا: نعم، قال: هذه المِحْلال المِظْعان، ونحن أول مَن يَظعن عنها.

وقال الزبير بن بكار: كان رياح قد ولي دمشق لصالح بن علي، ومصر لأبي جعفر، وكان فاتكاً، حضر عند عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه وعنده رَجاء بن حَيْوَة، فأُتي بغِلْمَةٍ من آل المُهَلَّب لم يبلغوا الحِنْث، فقال عمر: ما تقولون فيهم؟ فقال رياح: أقول ما قال نوح في أمثالهم: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧] فأعرض عنه عمر، ثم قال لرجاء: ما تقول أنت؟ قال: أقول: لا سبيل لك عليهم، لأنهم لم تَجْرِ عليهم الأقلام والأحكام.

وأطلق عمر رحمة الله عليه سبيلهم، فلما خرجا قال رياح لرجاء: إن الله خلق رجالاً للخير وأنت منهم، وخلق رجالاً للشر وأنا منهم[(١)].

ورياح هو الذي تولّى حبسَ بني حسن، وتقييدَهم، والتضييقَ عليهم، وحملَهم إلى العراق، ولما أوصلهم إلى الكوفة ردَّه أبو جعفر إلى المدينة.

وكان رياح قد حبس محمد بن خالد القسري، ووجأ عُنُقه، وعَذَّب كُتَّابَه، فلما ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة حَبس رياحاً وضيَّق عليه، فلما قصد عيسى بن موسى المدينة واقتتلا، دخل إبراهيم بن خُضَير، وخُضَير اسمُه مصعب بن [مصعب بن] الزبير[(٢)]، وكان مع محمد بن عبد الله بن الحسن، فأتكى رياحاً وذبحه كما تُذبح الشاة، وقصد محمد بن خالد القَسريّ، فردم بينه وبينه باباً، ونجا فلحق بالكوفة، ورجع إبراهيم بن خُضَير فقاتل مع محمد حتى قُتل.

ولما ذُبح رياح أُخرج من الحبس، فجعل صبيان المدينة في رِجله شريطاً، وجَرُّوه في الأزِقَّة ويقولون: [من مجزوء الرمل]

سَلَحَتْ أمُّ رِياحِ ... فأتَتْنا بِرِياحِ
وأتَتْنا بأميرٍ ... ليس من أهلِ الصَّلاحِ

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٣١١ (مخطوط).

(٢) ما بين معكوفين من أنساب الأشراف ٢/ ٤٢٥، وانظر جمهرة ابن حزم ص١٢٤.

مـا سـمـعـنـا بـأمـيـرٍ قـبـل هـذا مـن سِـفـاحِ[١]

رُؤبة بن العجَّاج

واسمه عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صَخر بن كنيف[٢] بن عمرو، أبو الجَحَّاف التميمي.

من الطبقة التاسعة من الرُّجَّاز، وهومخضرم، من رُجَّاز الإسلام وفُصحائهم، بدوي نزل البصرة، ومدح الدولتين بني أمية وبني العباس، وأخذ عنه أئمة اللغة، واحتجوا بشعره، وجعلوه إماماً، وأراجيزه مشهورة، ووفد على الوليد وسليمان بن عبد الملك، وأنشدهما ووصلاه.

وقال أبو عبيدة: حدثني رؤبة، عن أبيه قال: سألتُ أبا هريرة فقلت: ما تقول في هذا:

طـاف الـخـيـالان فـهـاجـا سَـقَـمـا خـيـالُ لُـبـنـى وخـيـالُ تُـكـتَـمـا

قـامـت تُـريـك رهـبـةً أن تُـصـرَمـا سـاقـاً بَـخَـنْـداةً وكَـعْـبـاً أدْرَمـا

ـ وساقٌ بَخَنْداةٌ أي: ناتئة، والدَّرَم في الكعب: أن يواريه اللحم حتى لا يكون له حَجْم ـ فقال: قد كان يُحْدا بنحوٍ من هذا مع رسول الله ﷺ فلا يَعيبُه[٣].

أسند رؤبة عن أبيه، عن أبي هريرة، ودغفل بن حَنظلة النَّسَّابة وغيرهما، وروى عنه ابنه عبد الله بن رؤبة، ومَعْمَر بن المثنّى، وأبو عمرو بن العلاء، والنَّضْر بن شُمَيْل وغيرهم.

زيد بن أسْلَم

مولى عمر بن الخطاب، أبو أسامة.

من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، كانت له حلقة في مسجد رسول الله، فقال مالك

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٣١ ـ ٤٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٤، ونسبه في طبقات فحول الشعراء ص٧٣٨: رؤبة بن العجاج، واسمه: عبد الله بن رؤبة بن لبيد بن صخر بن كثيف. وانظر الشعر والشعراء ص٥٩٤، والمؤتلف للآمدي ص١٧٥، والأغاني ٢٠/ ٣٤٥، والسير ٦/ ١٦٢، وتاريخ الإسلام ٣/ ٨٦١.

(٣) تاريخ دمشق ٦/ ٢٨٥.

ابن أنس: كان زيد على مَعْدِن بني سُليم، وكان مَعْدِناً لا يزال يُصاب فيه الناس من قبل الجِنّ، فلما وليهم زيد شكوا ذلك إليه، فأمرهم أن يؤذِّنوا ويرفعوا أصواتهم بالأذان، ففعلوا، فارتفع ذلك عنهم إلى اليوم.

وكان إذا أتاه إنسان يسأله فخلط عليه يقول له: اذهب فتعلم كيف تسأل، ثم تعال فاسأل.

وقال ابن عساكر: كان زيد مع عمر بن عبد العزيز في خلافته[١].

وقال البخاري: كان علي بن الحسين يجلس في حلقة زيد بن أسلم فيقال له: أتتخطّى رقاب قومك إلى حلقة عبد ابن الخطاب؟ فيقول: إنما يجلس الرجل إلى الرجل لينتفع به، وأنا أنتفع به[٢].

أسند زيد عن أنس بن مالك، وابن عمر وغيرهما، وروى عنه الزهري، ومالك بن أنس، والثوري وغيرهم.

واتفقوا على صدقه وثقته وفضله، وتوفي في هذه السنة، وقيل: في سنة ست وثلاثين أو سبع وثلاثين ومئة[٣].

وأخوه خالد بن أسلم؛ كان أشد شاباً بالمدينة، ويكنى أبا ثَور، وكان أسنَّ من زيد[٤].

سُدَيْف بن مَيمون

الشاعر المكي، مولى أبي لهب[٥]، كان أسودَ اللون، بَصَّاصاً، بدوياً، قبيحَ

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٥٤٣.

(٢) التاريخ الكبير ٣/ ٣٨٧.

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٧، والسير ٥/ ٣١٦.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٧.

(٥) في هامش (خ) حاشية: سديف ـ كزبير ـ بن إسماعيل، شاعر. قاموس. اهـ. قلت: ولم يسمِّ أباه إسماعيل غير صاحب القاموس، وسكت الزبيدي فلم يتعقبه، انظر المحبَّر ص٤٨٦، والشعر والشعراء ص٧٦١، والأغاني ١٦/ ١٣٥، وطبقات ابن المعتز ص٣٧، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٤٦، وضعفاء العقيلي ٢/ ١٨٠، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٠ (مخطوط)، وميزان الاعتدال (٢٩٣٨)، والوافي بالوفيات ١٥/ ١٢٥، ولسان الميزان ٤/ ١٨.

المنظر، خبيثَ المَحْضَر، وكان قد طعن في خلافة أبي جعفر وهجاه، ومدح محمد بن عبد الله.

وقال البلاذُريّ: وصل أبو جعفر سُدَيفاً بألف دينار، فأعطاه لمحمد بن عبد الله بن حسن معونة له، فلما خرج محمد صار سُدَيف من خاصّته، ومدحه فقال: [من السريع]

إيـهـاً أبـا إسـحـاقَ مُـلِّـيْـتَـهـا ... فـي صِـحَّـةٍ تـبـقـى وعُـمـرٍ يـطـولْ

اذكُـر هـداك الله فِـعْـلَ[1] الأُلـى ... سِيـر بـهـم فـي مُـصْـمَـتاتِ الـكُـبـولْ

وصعد محمد المنبر يوماً بالمدينة، فقام سُديف وأشار إلى العراق وقال يريد أبا جعفر: [من الكامل]

أسْـرَفْـتَ فـي قـتـل الـبـريَّـةِ عـامـداً ... فـاكـفُـفْ يـديـك أضَـلَّـهـا مَـهْـدِيُّـهـا

فـلـتـأتـيـنـك رايـةٌ[2] حَـسَـنِـيَّـةٌ ... جَـرَّارةٌ يَـحْـتَـثُّـهـا حَـسَـنـيُّـهـا

وبلغ أبا جعفر فقال: قتلني الله إن لم أقتلْه شَرَّ قِتلة.

وكان سُدَيْف يقول: صار فَيْئُنا دولةً بعد القسمة، وإمارتُنا غلَبةً بعد المشورة، وعهدنا ميراثاً، واشتُريت الملاهي والمعازف بأموال الأرامل واليتامى، وحَكم أهلُ الذمَّة في أبشار المسلمين، وتولّى القيام بأمورهم فاسقُ كلِّ مَحلَّة، اللهم إنه قد استَحْصَد زرعُ الباطل وبلغ نهايته، فأتِحْ له يداً من الحق حاصدة؛ تُبدِّد شملَه، وتُفرِّق جمعَه، ليظهرَ الحقُّ في أحسن صورته، وأتمِّ أموره[3].

ولما قُتل محمد بن عبد الله هرب سُدَيف إلى المدينة فاختفى فيها، وبلغ أبا جعفر، فكتب إلى عمِّه عبد الصّمد بن علي وهو عامله على مكة والمدينة أن: اقتل سُديفاً، فأخذه، وحَفِظ له ما كان له فيهم من المدائح، وحبسه، وكاتب فيه أبا جعفر مراراً، فكتب إليه: والله لئن لم تقتله لأقتلنَّك، ولا تغترَّ بأنك عمي، أليس هو القائل لي:

أسْـرفـتَ فـي قـتـل الـبـريَّـةِ عـامـداً

(١) في أنساب الأشراف ٢/ ٤٤٧، والشعر والشعراء ص٧٦٢، وطبقات ابن المعتز ص٤١ : ذَحْل.

(٢) في (خ) و(ب): زلة، والمثبت من العقد الفريد ٥/ ٨٨، وفي ضعفاء العقيلي ٢/ ١٨١، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٢: غارة.

(٣) الشعر والشعراء ٢/ ٧٦١، وطبقات ابن المعتز ص٣٨، وتاريخ دمشق ٧/ ٧١ ـ ٧٢.

فلما حج أبو جعفر أخرج عبد الصّمد سُديفاً من الحرم فقتله، ولقي أبا جعفر عمُّه عبد الصمد في الطريق، فسلَّم عليه فلم يردَّ عليه السلام، بل قال: ما فعلتَ في أمر سُدَيف؟ قال: قتلتُه، فقال: وعليك السلام يا عمّ، يا غلام، قف فوقف، فأمر عبد الصمد فعادله.

وقيل: إن سُديفاً طلب من عبد الصّمد أماناً، فأعطاه على أنه لا يُبعث من المدينة[1]، واستحلفه على ذلك، فلما قدم أبو جعفر المدينة قيل له: قد رأينا سُدَيفاً، فقال: عليَّ به، فجُعل في جُوالِق، وخيط عليه، وضرب بالخشب حتى مات، ورمي به في بئر. وقيل: كان به رَمَق فمات.

ولما خرج محمد بالمدينة وإبراهيم بالبصرة قال سُديف: [من البسيط]

إن الحمامةَ يوم الشّعب من حَضَنٍ ... هاجتْ فؤادَ محبٍّ دائمِ الحزَنِ
إنا لنأمُلُ أن ترتدَّ أُلفتُنا ... بعد التَّباغُضِ والشَّحناءِ والإحَنِ
وتنقضي دولةٌ أحكامُ قادَتنا ... فيها كأحكام قومٍ عابدي وَثَنِ
فانهض ببيعتكم ننهَضْ بطاعتنا ... إن الخلافة فيكم يا بني حَسَنِ
ألستَ أكرمَهم قوماً إذا انتسبوا ... عوداً وأنقاهُمُ ثَوباً من الدَّرَنِ
وأعظمَ الناس عند الله منزلةً ... وأبعدَ الناس من عجزٍ ومن أفَنِ[2]

وقد اختلفوا في وفاته؛ فحكينا أن عبد الصّمد قتله بأمر أبي جعفر، وقيل: إنه لما بلغه هجاؤه كتب إلى عمه عبد الصّمد فدفنه حياً.

وقيل: بعث المنصور خُزيمة بن خازم ـ أو خازم بن خزيمة ـ مُتنكِّراً، وقال له: عند السارية الفلانية شيخ آدم طُوال يُكثر التلفُّت، فاجلس إليه، وأظهر الميل إلى آل أبي طالب، ثم قل له بعد أيام: مَن القائل:

أسرفتَ في قتل البرية عامداً؟

فقدم خازم المدينة، وجلس إلى الشيخ الموصوف، وأظهر له الميل إلى الطَّالبيين،

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٤، وتاريخ دمشق ٧/ ٧٢ : فأمّنه وأحلفه ألا يبرح من المدينة.
(٢) العقد الفريد ٥/ ٨٧ ـ ٨٨.

وقال له: مَن القائل: أسرفتَ في قتل البرية؟ فقال له الشيخ: إن شئتَ أنبأتُك مَن أنت، أنت خازم بن خُزيمة، بعثك أمير المؤمنين ليعرف من قال هذا الشعر، قل له: والله ما قلتُه، وإنما قاله سُدَيْف بن ميمون، وأنا القائل لما خرج محمد ودعوني إلى الخروج معه هذه الأبيات: [من الطويل]

دعَوني وقد شالت[1] لإبليس راية ... وأُوقد للغاوين نارُ الحُباحِبِ
أبالليثِ يغترُّون يحمي عَرينَه ... ويَلْقون جَهلاً أُسْدَه بالثَّعالبِ
فلا يَنْفَعَنّي السِّنُّ إنْ مِلتُ نحوكم ... ولا أحكَمَتْني صادقاتُ التجاربِ

وإذا بالشيخ ابن هَرْمة الشاعر.

قال خازم: فقدمتُ على أبي جعفر فأخبرته فقال: صدق، وأمر بدفن سُديف حياً.

وقد أخرج الحافظ ابن عساكر لسُديف حديثاً عن محمد بن علي، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن أبغضنا أهلَ البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً» قال: فقلت: وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم؟ قال: «نعم». قال أبو جعفر العقيلي: ليس لهذا الحديث أصل. وذكر سُديفاً في كتاب «الضعفاء والمتروكين»[2].

وقال ابن عساكر: ما زال سُديف يبحث حتى ظفر بابنين لبسر بن [أبي] أرطاة بساحل دمشق، فذبحهما كما ذبح بسر ابني عبيد الله بن عباس.

وقد روى سُديف عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، وروى عنه حَنان بن سدير الصَّيرفي[3].

عبد الله بن حسن

ابن حسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد، وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، وكان من العُبَّاد، وله شَرَف وعارضة وهَيبة ولسان شديد، وأدرك دولة بني العباس، ووَفَد على السفَّاح بالأنبار، وكانت له منزلة

(١) في (خ) و(ب): فقد شيلت، والمثبت من العقد الفريد ٥/ ٨٩، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٢٩.
(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٧٠ ـ ٧١، وضعفاء العقيلي ٢/ ١٨٠.
(٣) تاريخ دمشق ٧/ ٧٠، ٧١.

عند الخلفاء، وفد على سليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، وهشام بن عبد الملك، وكانوا يفضِّلونه ويميزونه ويرفعون منزلته.

وقال له عمر: أَنشُدك الله أن تقف ببابي إلا في الساعة التي آذن للناس فيها؛ فإني أستحيي من الله أن يراك واقفاً ببابي ولا يؤذن لك.

وكان عبد الله بن علي قد عزم على قتل مَن كان بالحجاز من بني أمية، فقال له عبد الله: يا ابن عمّ، إذا أسرعتَ في القتل إلى أكفائك فمَن تُباهي بسلطانك؟ فاعف يعف الله عنك، فأمسك.

وكان عبد الله بن حسن شيخَ أهله، وسيداً من ساداتهم، ومقدَّماً فيهم فضلاً وعلماً وكرماً وحسباً. وحبسه أبو جعفر بالهاشمية فمات في حبسه بالكوفة.

وقال الهيثم: حبسهم أبو جعفر في سِرداب تحت الأرض؛ لا يعرفون ليلاً ولا نهاراً، والسِّرداب عند قنطرة الكوفة، وهو موضع بَراز، ولم يكن عندهم بئر للماء ولا سقاية، فكانوا يبولون ويتغوَّطون في مواضعهم، وإذا مات فيهم ميت لم يُدفن، بل يَبلى وهم ينظرون إليه، فاشتدَّت عليهم رائحة البول والغائط، وكان الوَرَمُ يبدو في أقدامهم، ثم يترقَّى إلى قلوبهم فيموتون[1].

ويقال: إن أبا جعفر ردم عليهم السرداب فماتوا، فكان يُسمع أنينُهم أياماً.

وقال أبو معقل بن إبراهيم[2]: أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن فقيَّده وحبسه في داره، فلما أراد الخروج إلى الحج وقفت له ابنةٌ لعبد الله بن حسن على الطريق واسمها فاطمة، فلما مرَّ بها قالت: [من الكامل]

ارحم كبيراً سِنُّه مُتهدِّماً ... في السجن بين سلاسلٍ وقيودِ
وارحم صغارَ بني يزيد فإنهم ... يَتُموا لفَقدك لا لفقدِ يزيدِ
إن جُدْتَ بالرَّحِمِ القريبة بيننا ... ما جدُّنا من جدكم ببعيدِ

(١) مروج الذهب ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٢) في (خ) مغفل، وفيها وفي (ب): بن أبان، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٩١، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٧، والمنتظم ٨/ ٩٢.

فقال أبو جعفر: أذكرتِنيه، ثم أمر به فحُدر إلى المُطْبِق، فكان آخر العهد به، والمطبق بغداد.

والصحيح أنه مات بالكوفة بالهاشمية في سنة خمس وأربعين ومئة، وعمره خمس وسبعون سنة، وقيل: اثنتين وسبعين سنة.

وكانت له أحاديث؛ قال حفص بن عمر مولاه: رأيتُ عبد الله يتوضأ ومسح على خُفَّيه، فقلت له: أتمسح؟ قال: نعم، قد مسح عمر بن الخطاب ﷺ، ومَن جعل عمر بينه وبين الله فقد استوثق لنفسه.

وذكر عبد الله يوماً مقتل عثمان ﷺ فبكى حتى بلَّ لحيتَه وثوبَه.

وقال عبد الله: إياك ومعاداة الرجال؛ فإنك لن تَعدم مكرَ حليم، ومفاجأة لئيم.

وقال: المِراء يفسد الصداقةَ القديمة، ويحلُّ العُقَد الوثيقة.

وقيل له: إن فلاناً غيَّرته الولاية، فقال: مَن ولي ولاية أكبر منه غيَّرتْه، وإن كانت نفسُه أكبر منها لم تغيره.

وولد له جماعة من الأولاد وجميعهم من الطبقة الخامسة من أهل المدينة.

وقال الواقدي: وَلَدت هند بنت أبي [عبيدة بن عبد الله بن] زَمْعَة موسى بن عبد الله وهي بنت ستين سنة، ولا يُعلم امرأة وَلدت لستين سنة إلا قرشية، ولا لخمسين إلا عربية[1].

وقال محمد بن حكيم: حبسه أبو جعفر قبل خروج إخوته، ثم أطلقه فخرج معهما، فظفر به، فضربه ألف سوط ولم ينطق، فعجب أبو جعفر وقال: لقد عجبت من صبر هؤلاء، فما بال هذا الغلام الذي لم تره عينُ الشمس؟ وسمعه موسى فقال: [من الكامل]

إني من القوم الذين يَزيدُهم جَلَداً وصَبْراً جَفوَةُ السُّلطانِ[2]

وكان فاضلاً شاعراً، كتب إلى زوجته أم سلمة بنت محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد

---

(١) نسب هذا القول في الأغاني ١٦/ ٣٦٠، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٣، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٣ (مخطوط) إلى الزبير بن بكار، وانظر طبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٠، ونسب قريش ص٥٣، وأنساب الأشراف ٢/ ٤٠٤، ٤٥٠، والتبيين ص٢٧٩، وما بين معكوفين من هذه المصادر.

(٢) تاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٤.

الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو بالعراق يستدعيها فأبت، فكتب إليها: [من الطويل]

فلا تتركيني بالعراق فإنها ... بلادٌ بها أُسُّ الخيانةِ والغَدْرِ
فإني زعيمٌ أن أجيءَ بضَرَّةٍ ... مقابلةِ الأجدادِ طَيِّبةِ النَّشْرِ[1]

أسند عبد الله عن أبيه، وأمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام، وعن جماعة، وروى عنه مالك حديث السَّدْل وعَمِل به، ولما قيل له في ذلك قال: رأيتُ مَن يوثَق به يفعله. قيل: ومَن هو؟ قال: عبد الله بن حسن[2].

واتفقوا على صدقه وثقته وفضله، وكان ثبتاً مأموناً فقيهاً عالماً، وكان يترضّى عن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، ويمسح على خُفَّيه ويقول: قد مسح عمر على خفيه، وهو خير من مِلْءِ الأرض مثلي.

وكان يقول: ما أرى أن أحداً يسب أبا بكر وعمر يقبل الله توبته أبداً، وإني لأتقرب إلى الله بحبهما، وكان يأمر أهله وأولاده بمحبتهما، والتبرِّي ممن يسبُّهما[3].

قال المصنف رحمه الله: وعبد الله بن الحسن بن محمد بن الحسن بن الحسين بن عيسى بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كنيته أبو الغنائم النسَّابة، ابن القاضي أبي محمد العَلَوي الزَّيدي، لم أقف على تاريخ وفاته، صنَّف كتاباً في النسب عشر مجلدات، وسماه: «نزهة عيون المشتاقين إلى وصف السادة الغُرّ الميامين» وتصنيفه يدل على الاعتزال والتشيع.

وله في فخر الدولة بن أبي الجِنّ لما عزل [ابن] مُحرِز البعلبكّيّ عن تولّي أوقاف العلويين، وكان سيئ السيرة، قال: [من الطويل]

ولو لم يكن للفخر أجرٌ يَحوزُه ... ينال به جناتِ عدنٍ على علْم
سوى عزلِه بعد الإياس ابنَ مُحرِزٍ ... وإنصافهم بعد التظلُّم في القَسْمِ[4]

(١) أنساب الأشراف ٢/ ٤٥٢، وتاريخ بغداد ١٥/ ١٢، وتاريخ دمشق ١٧/ ٢٨٥.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٩٠، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٤٦.
(٣) انظر في ترجمته غير ما سلف من مصادر: طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٤، وتاريخ الطبري ٧/ ٥٢٤ وما بعدها، والعقد الفريد ٥/ ٧٤، وتهذيب الكمال (٣٢١٣)، والتبيين ص١٢٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٠٤.
(٤) تاريخ دمشق ٣٣/ ١٧٩ ـ ١٨٠.

عبد الله بن المُقَفَّع

واسمه داذَوِيه من أهل فارس، كان مجوسياً، وإنما سمّي المقفَّع لأنه ولي للحجاج ولاية، فمد يده وأخذ المال، فعذّبه الحجاج حتى تقَفَّعَتْ يدُه، وحرص على تأديب ولده عبد الله، وكان يجمع له العلماء.

وكان عبد الله فصيحاً جواداً، وجاءت الدولة وقد مات أبوه فصحب بني علي بن عبد الله بن عباس، وكان يكتب لهم، وكتب أيضاً لأبي جعفر.

وكان بليغاً، وهو أول من رتب الخطب وقال: شرِبتُ من الخطب رِيًّا، ولم أضبط لها رَوِيّا، فغاضت ثم فاضت، فليست هي نظاماً، ولا في غيرها كلاماً.

وجاء إلى عيسى بن علي فقال له: قد دخل الإسلام في قلبي، وأريد أن أسلم على يدك، فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القوَّاد ووجوه الناس، فإذا كان غداً فاحضر، ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس يأكل ويُزَمْزِم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أتزمزم وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أن أبيت ليلةً على غير دين، فلما أصبح أسلم على يده.

وكان مع فضله يُتَّهم بالزندقة، وكان بعد أن أسلم إذا مرَّ ببيت النار للمجوس يتمثل: [من الكامل]

إني لأمنَحُكَ الصُّدودَ وإنني قسماً إليكَ مع الصُّدود لأَمْيَلُ[1]

وكان محمد المهدي يقول: ما وجدتُ كتابَ زَنْدَقة إلا وأصله ابن المقفع.

وقد صنَّف المصنفات الحسان، منها: «الدرة اليتيمة» التي لم يُصنَّف في فنِّها مثلها، وكان له الكلام البليغ، فمن كلامه:

ينبغي لمن خَدَم السلطان ألا يغتر به إذا رضي، ولا يتغير له إذا سَخِط، ولا يستثقل ما حَمَّله، ولا يُلْحِف في مسألته.

وقال: لا تكن صحبتك للسلطان إلا بعد رياضة منك لنفسك، وكن حافظاً إذا ولاك، أميناً إذا ائتمنك، راضياً إذا أسخطك، ومع هذا فالحذر من صحبته كل الحذر.

---

(١) البيت للأحوص، وهو في ديوانه ص١٦٦.

وقال: لا تغُرَّنَّك سَعَةٌ تكون فيها؛ فإن أعظم الناس خطراً مَن يدبر في ما في يده[1]، والملوك إلى حسن التدبير أحوج إليه من السُّوقة؛ فإن السوقة قد تعيش بغير مال، والملوك لا بد لهم من المال، ولا قِوام لهم إلا به.

وقال: لا ينبغي للملك أن يغضب؛ لأن القُدرة من وراء حاجته، ولا أن يكذب؛ لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على ما لا يريد، ولا أن يبخل؛ لأن البخل مذموم، ولا أن يكون حَقوداً؛ لأن خطره يَجلُّ عن المجاراة.

وقال: من أوقع الأمور في الدين، وأنهكِها للجسم، وأتلفِها للمال، وأفسدِها للعقل، وأذهبِها للوقار؛ الغَرامُ بالنساء، ومن البلاء على المُغْرَم بهن أنه لا ينفكُّ يَسأم فيما عنده، وتَطمَح عيناه إلى ما ليس عنده، وربما هجم على ما يظنه حسناً وهو قبيح، حتى لو لم يبق في الأرض إلا امرأة واحدة ظن أن لها شأناً غير شأن مَن ذاقه، وهذا غاية الحُمْق.

وقيل له: مَن أدَّبَك؟ قال: نفسي، إذا رأيتُ شيئاً أذُمُّه من غيري اجتنبتُه.

وحضر يوماً مَأْدُبة فيها معن بن زائدة، وفيها جواري يغنّين، فغنت واحدة بمعن فأعطاها ألف دينار، وغنَّت أخرى لابن المقفع فأعطاها مئة ألف درهم، فقال معن: لله در الفارسي فلقد بَرَّز علينا.

واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد، فقيل للخليل: كيف رأيتَه؟ فقال: علمُه أكثر من عقله.

ذكر مقتله:

كان ابن المقفَّع يعيب سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلَّب عامل البصرة، وينال من أمه ـ وهي ميسون بنت المغيرة بن المهلَّب ـ ويقول: يا ابن المُغْتَلِمَة، والله ما اكتفت أمك برجال العراق حتى نكحها رجال أهل الشام.

وكان أنف سفيان كبيراً؛ فكان ابن المقفع إذا دخل عليه قال: السلام عليكما، يعني نفسَه وأنفَه.

---

(١) في الأدب الكبير لابن المقفع ٦٧، والمنتظم ٨/ ٥٣: فإن أعظم الناس خطراً أحوجهم إلى التقدير.

وقال له يوماً: ما تقول في زوج وامرأة كم لهما من الميراث، يسخر به على ملأ من الناس.

وقال سفيان يوماً: ما ندمتُ على سكوت قط، فقال له ابن المقفع: الخَرَس زَيْنٌ لك فكيف تندم عليه؟ وكان يستخِفُّ به وسفيان لا يقدم عليه لمكانته، وكان سفيان يقول: والله لأُقَطِّعنه إرباً إرباً وعينه تنظر.

فقدم سليمان بن علي وعيسى بن علي البصرة ليكتبا أماناً لعبد الله بن علي، وكان ابن المقفّع يكتب لعيسى بن علي، وأمره فكتب كتاب أمان، واتّفق أن أبا جعفر قال لابن المقفع: اكتب كتابَ أمان لعبد الله بن علي، وسهّل الأمر فيه، فكتب كتاب أمان وفيه:

ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي فنساؤه طوالق، ودوابُّه حُبُس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته، وأمواله صدقة، وعليه المشي إلى بيت الله حافياً، وكان ابن المقفع يَتَنَوَّق في الشروط، فلما وقف عليه أبو جعفر عَظُم عليه ذلك، ولما حبس عبد الله بن علي أرسل إليه يقول: ما هذا أمانُك وكتابُك؟! فساءه ذلك، فكتب إلى سفيان بن معاوية يأمره بقتله، وكان سفيان مُضْطَغِناً عليه.

فاستأذن ابن المقفع يوماً على سفيان، فأخَّر إذنه حتى خرج مَن عنده، ثم أذن له فدخل، فعدل به إلى حجرة، ولما دخل على سفيان قال له: أتذكر ما كنتَ تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أُمِّي مُغْتَلِمَة؟ إن لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد، وأمر بتنُّور فسُجِر، ثم أمر به فقُطِّعت أعضاؤه عضواً عضواً، وهو يُلقيها في النار وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنور وقال: ليس عليَّ في المُثْلَةِ بك حَرَج؛ لأنك زنديق قد أفسدتَ الناس.

ولما خرج القوم من عند سفيان رأوا غلمانه على الباب، فسألوهم عنه فقيل: دخل بعدكم واختفى أثَرُه، فخاصم سليمان بن علي وعيسى بن علي سفيان، وأشخصاه إلى المنصور مُقيَّداً، وحضر الشهود الذين شهدوا أنه دخل دار سفيان ولم يخرج، وأقاموا الشهادة، فقال لهم أبو جعفر: إنا ننظر في هذا، أرأيتم إن قتلتُ سفيان بن معاوية وخرج ابن المقفع من هذا الباب ـ وأومأ إلى باب خلفه ـ وخاطبكم، ما تروني صانعاً بكم، أأقتلكم بسفيان، فرجعوا كلهم عن الشهادة، وعلموا أن قتله كان برضاه،

وأضرب عيسى عن ذكره.

وقال البلاذري: لما قدم عيسى بن علي[١] البصرة في أمر عبد الله قال لابن المقفع: اذهب إلى سفيان في أمر كذا وكذا، فقال: ابعث إليه غيري فإني أخاف منه، فقال: اذهب فأنت في أماني، فذهب إليه ففعل به ما ذكرنا.

وقيل: ألقاه في بئر المخرج وردم عليه الحجارة.

وقيل: أدخله حماماً وأغلق بابه فاختنق.

وابن المقفع من شعراء «الحماسة»، قال في باب المراثي: [من الطويل]

رُزِئْنا أبا عمروٍ ولا حيَّ مثلَه ... فللّه رَيْبُ الحادثاتِ بمَن وَقَعْ

فإنْ تكُ قد فارَقْتَنا وتركتَنا ... ذَوِي خَلَّةٍ ما في انْسِدادٍ لها طَمَعْ

فقد جرَّ نفعاً فقْدُنا لك إننا ... أمِنَّا على كلِّ الرَّزايا من الجَزَعْ[٢]

عبد الله بن محمد

ابن عَقيل بن أبي طالب، وكنيته أبو محمد، وأمه زينب الصغرى بنت علي بن أبي طالب.

وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة، قدم على هشام بن عبد الملك فأمر له بأربعة آلاف دينار، فسُرِقت منه، فجمعوا له مثلها فقال: إن كانت صدقةً لا تحلّ لنا، وإن كانت صِلَةً قبلتُها، قالوا: صلة، فأخذها.

وكانت وفاته في هذه السنة بالمدينة، وكان كثيرَ العلم إلا أنه مُنكر الحديث.

أسند عن ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وعلي بن الحسين، وابن المسيب وغيرهم.

---

(١) في (خ) و(ب): لما قدم ابن موسى، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٢٥٢.

(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص٨٦٣، وانظر أمالي المرتضى ١/ ١٣٤، أخبار الحكماء ص١٤٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٥١، الوافي بالوفيات ١٧/ ٦٣٣، السير ٦/ ٢٠٨، تاريخ الإسلام ٣/ ٩١٠، لسان الميزان ٥/ ٢١، خزانة الأدب ٨/ ١٧٧، أمراء البيان ٩٩ ـ ١٥٨ لمحمد كردعلي. وذكره ابن الجوزي في المنتظم ٨/ ٥٢ في وفيات سنة (١٤٤ هـ).

وقال يعقوب بن سفيان: هو صدوق إلا أن في حديثه ضعفاً.

وقال الإمام أحمد رحمة الله عليه: هو ثقة. وقيل: إنه تغير في آخر عمره[١].

عمرو بن عُبيد بن باب

أبو عثمان البصري المعتزلي، وباب من سبي فارس وهو مولى آل عَرادة بن يربوع ابن مالك.

وقال الخطيب: كان أبوه نَسَّاجاً، ثم صار شُرطياً للحجاج بن يوسف، وهو من سَبْي سجستان.

وقال الزبير: كان أبوه يخلف أصحاب الشُّرَط بالبصرة، فكان الناس إذا رأوه مع أبيه قالوا: خير الناس مع شرِّ الناس! فيقول أبوه: صدقتم هذا إبراهيم وأنا آزر.

وقال الهيثم: كان عمرو عالماً زاهداً ناسكاً عابداً ورعاً عفيفاً، من أهل السنة، يجالس الحسن البصري، وحفظ عنه، واشتهر بصحبته، ثم أزاله عن ذلك واصل بن عطاء المعتزلي[٢]، وغيَّر أحوالَه، ونقله من القول بالسنة إلى القدر والاعتزال.

وقال أبو اليقظان: كان عمرو من دعاة يزيد الناقص في أيام بني أمية، ثم قال بإمامة أبي جعفر.

وكان أبو جعفر يعظمه ويحترمه ويمدحه ويقول: نَثرتُ الحبَّ للناس فلقطوا إلا عمرو بن عبيد.

ذكر نبذة من مواعظه لأبي جعفر:

قال عُقبة بن هارون: دخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر المنصور وعنده المهدي بعد أن بايع له ببغداد، فقال له: يا أبا عثمان، عظني فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر الذي أصبح في يدك لو بقي في يد غيرك لما وصل إليك، وإني أُحذِّرك ليلةً تَمَخَّضُ بيومٍ لا ليلة بعده، ثم أنشده: [من البسيط]

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٨١، وأنساب الأشراف ٢/ ٧٢، وتهذيب الكمال (٣٥٤٣)، والسير ٦/ ٢٠٤، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٠٨، وميزان الاعتدال (٤٣٠٩)، ولم أقف على كلام أحمد.

(٢) في (ب): الغَزَّال، وهو وصف لواصل، صحيح، انظر السير ٥/ ٤٦٤.

أيُّـهـذا الـذي قـد غـرَّه الأمـلُ ودون مـا يـأمُـلُ التَّـنـغـيـصُ والأجَـلُ
ألا تـرى أنَّـمـا الـدنـيـا وزيـنـتُـهـا كـمـنـزل الرَّكـب حَـلُّوا ثُمَّتَ ارتـحـلـوا
حُـتـوفـهـا رَصَـدٌ وعـيـشُـهـا نَـكَـدٌ وصَـفْـوُهـا كَـدَرٌ ومُـلْـكُـهـا دُولُ
تـظـلُّ تَـقـرَعُ بـالـرَّوعـاتِ سـاكـنَـهـا فـمـا يَـسـوغُ لـه لـيـنٌ ولا جـذَلُ
كـأنـه لـلـمـنـايـا والـرَّدى غَـرَضٌ تـظـلُّ فـيـه بـنـاتُ الـدَّهـرِ تَـنـتـضـلُ
تُـديـره مـا أدارتْـه دوائـرُهـا منها المصيب ومنها المخطئ الزَّلِلُ
والـنـفـس هـاربـةٌ والـمـوت يَـرصُـدها وكـل عَـثْـرَةِ رِجْـلٍ عـنـدهـا جَـلَـلُ
والـمـرءُ يَـسـعـى بـمـا يَـسـعـى لـوارثـه والـقـبـرُ وارثُ مـا يـسـعـى لـه الـرجـلُ

فبكى المنصور(١).

وقال إسحاق بن الفضل: بينا أنا على باب المنصور وإلى جانبي عُمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار، فنزل عن حماره، ونحّى البساط برجله، وجلس دونه، فالتفت إلي عمارة وقال: ما تزال بصرتكم ترمينا بأحمق أحمق، فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع فقال لعمرو: أجب أمير المؤمنين يا أبا عثمان جُعلت فداك، فمرَّ متوكِّئاً عليه، فقلت لعمارة: إن الرجل الذي استَحْمَقْتَ قد دُعي وتُرِكنا! فقال: كثيراً ما يكون مثل هذا.

فأطال اللبث، ثم خرج الربيع وعمرو متكئ عليه فقال: يا غلام، حمار أبي عثمان، فما برح حتى علا سرجَه وسوَّى ثيابَه، واستودعه الله، فأقبل عمارة على الربيع وقال له: لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل فعلاً لو فعلتموه بولي عهدكم كنتم قد قضيتم حقَّه! قال الربيع: فما غاب عنك والله أكثر من فعل أمير المؤمنين وأعجب، فقال: حدِّثْنا، فقال: ما هو إلا أن سمع بمكانه فما أمهل حتى فُرِش له مجلسٌ باللُّبود، ثم انتقل هو والمهدي إليه، ثم أذِن له فدخل، فسلَّم عليه، فردَّ عليه ورحَّب به، وما زال يُدنيه حتى أتكأه على فخذه، ثم سأله عن أهله يُسمِّيهم واحداً واحداً الرجال والنساء، ثم قال له: يا أبا عثمان عِظني، فقال:

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٤، والمنتظم ٨/ ٥٨ ـ ٥٩.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ فبكى بكاء شديداً كأنه لم يسمع تلك الآيات إلا في تلك الساعة وقال: زدني، فقال: إن الله أعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر منه نفسَك ببعضها، واعلم أن هذا الأمر الذي صار إليك إنما كان في يد مَن كان قبلك، ثم أفضى إليك، وكذلك يخرج منك إلى مَن هو بعدك، وإني أُحذِّرك ليلةً تَمَخَّضُ صبيحتُها عن يوم القيامة، فبكى والله أشد من الأول، فقال له سليمان بن مجالد: رِفقاً بأمير المؤمنين فقد أتعبتَه اليوم، فقال له عمرو: بمثلك ضاع الأمر وانتشر لا أبا لك، ماذا خفت عليه إن بكى من خشية الله تعالى؟

فقال المنصور: يا أبا عثمان أعنِّي بأصحابك، فقال: أظهر الحقَّ يتبعْك أهلُه. قال: قد بلغني أن محمد بن عبد الله بن حسن كتب إليك كتاباً، قال: قد جاءني كتاب يشبه أن يكون كتابه قال: فما أجبتَه؟ قال: أوليس قد عرفتَ أيامَ كنت تتردَّد إلينا أني لا أرى السيف؟ فقال: قد أمرتُ لك بعشرة آلاف درهم تستعين بها على سفرك وزمانك، فقال: لا حاجة لي فيها، قال: والله لتأخُذَنَّها، قال: والله لا أخذتها، فقال له المهدي: يحلف أمير المؤمنين وتحلف؟ وكان على المهدي سوادُه وسيفه، فقال للمنصور: مَن هذا الفتى؟ فقال: هذا ابني محمد المهدي وهو وليُّ العهد، فقال: والله لقد أسميتَه اسماً ما استحقَّه عملُه، وألبستَه لباساً ما هو من لُبس الأبرار، ولقد مهَّدت له أمراً أمتع ما يكون فيه أشغل ما يكون عنه.

ثم التفت إلى المهدي فقال له: يا ابن أخي، إذا حلف أبوك وحلف عمُّك كان أبوك أقدر على الكفارة من عمك، فقال له المنصور: يا أبا عثمان، هل لك من حاجة؟ قال: نعم؛ لا تبعث إليَّ حتى آتيك، قال: إذاً لا تأتيني، قال: عن حاجتي سألتني، ثم ودَّعه ونهض، فأتبعه بصرَه وهو يقول: [من الرجز]

كلُّكم يمشي رويد كلكم يطلب صَيْد[1]

غير عمرو بن عبيد

(١) بعدها في (خ) و(ب) زيادة: كلكم يطلب دنيا، ولم أقف على أحد ذكرها.

وقال البلاذري: دخل عمرو بن عبيد على أبي جعفر وعليه طيلسان مُخَرَّق، فرمى أبو جعفر طَيلَسانه عليه، ثم قال له: عِظني، فوعظه فبكى وقال: يا أبا عثمان ارفع إليَّ حوائجَك، فقال: أولها أن ترفع هذا الطيلسان عني، ولا تعطني شيئاً حتى أسألك، ولا تبعث إلي حتى آتيك، واتق الله في أمة محمد ﷺ[1].

فقال: يا أبا عثمان، إن أكثر ما أخاف عمال السوء الذين يظلمون الرعية، والله لوددت أقوى خلق الله عليها يليها دوني، هذا صاحب فارس؛ رفع إليَّ خراجَ ما زعم أنه حصل في السنة الماضية خمسة آلاف درهم، وكتب إليَّ صاحبُ خبري هناك أنه قد احتبس لنفسه خمس مئة ألف درهم من مال المسلمين، فبمن أثق؟ أما بطني فوالله ما أبالي ما جاوز لَهَواتي، وهذه جُبَّتي لها ثلاثون شهراً منذ لبستُها، فعلام أتأسَّف على الدنيا وهذه صفتي، وأما مقدار ما يكفيني من المطعم والمشرب فإذا هو في كل شهر عشرة دراهم[2]، أفتراني أتعمَّد ظُلمَ مسلم أو ذمي وهذه حالي؟

ودخل عمرو على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين، إن من وراء بابك نيراناً تأجَّجُ من الجَور والظُّلم، واللهِ ما يُعمَل وراء بابك بكتاب الله ولا سنة رسوله، وإن الله سائلك عن مثاقيل الذرِّ من الخير والشر، وإن أمة محمد ﷺ خُصماؤك يوم القيامة، وإن الله لا يرضى منك إلا العَدْل في بريَّته، وكان على رأس أبي جعفر سليمان بن مجالد فقال له: اسكت أيها الشيخ فقد شققتَ على أمير المؤمنين وأبكيتَه، فقال عمرو: مَن هذا؟ فقال أبو جعفر: هذا أخوك سليمان بن مجالد، فقال له: ويحك، والله إنه ميت ومُخَلٍّ ما في يديه، ومُرْتَهَن بعمله، وأنت والله غداً جيفةٌ بالعَراء، ثم التفت إلى أبي جعفر وقال: والله لَقُربُ هذا الجدار خيرٌ لك من قُرب سليمان إذ طوى عنك النصيحة، ومنع مَن ينصحك، وكأني والله بهذا غداً جيفة على الصراط يُجَرُّ برجله إلى النار، وإن هذا وأمثاله اتخذوك سُلَّماً إلى شهواتهم، وإنهم لا يغنون عنك من الله شيئاً يوم القيامة، فقال أبو جعفر: فكيف أصنع؟ فقال: اطرد عنك هؤلاء الشياطين، واصحب أهل الصلاح، قال: فهذا خاتمي فابعث به إلى أصحابك فوَلِّهم، فقال: إن أهل الدين لا

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤.

(٢) كذا، ولم أقف على مَن ذكر هذه القطعة.

يأتونك ومثل هذا معك؛ لأنهم إن أطاعوهم أغضبوا ربهم، وإن عصوهم أغروك بقتلهم، ارفع عَلَم العدل وقد استغنيتَ عن أصحابي[١].

عمرو بن مَيمون بن مِهران

أبو عبد الله الجزري، كان فاضلاً زاهداً، عرض عليه أبو جعفر المنصور أن يُقطعه قَطيعةً فأبى وقال: إني رأيت همَّ الرجلِ على قدر انتشار ضَيْعته، وإني يكفيني من هَمِّي ما أحاطت به داري، فإن رأيت أن تُعفيني، فأعفاه، وبلغ هذا الكلام الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه، فلم يزل يُردِّده حتى حفظه.

وكان يعطش فما يستسقي من أحد حتى يأتي بيته فيشرب منه، فيقال له في ذلك فيقول: كلُّ معروف صدقة، وما أحبُّ أن يتصدَّق عليَّ أحد.

وقال الواقدي: مات سنة خمس وأربعين بالجزيرة وقال ابن أخيه عبد الحميد: مات عمرو بالكوفة لأنه قال: بلغني أنه يُحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فأحببتُ أن أموت بها.

وقيل: إنه مات سنة أربعين ومئة، وقيل: سنة ثمان وأربعين، وسمع أباه، وعمر بن عبد العزيز، والزهري وغيرهم، وروى عنه ابن عيينة[٢]، وابن المبارك، ويزيد بن هارون، واتفقوا على صدقه وثقته وورعه، وأثنى عليه الإمام أحمد رحمة الله عليه بذلك.

محمد بن عمران

ابن إبراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، أبو سليمان، قاضي المدينة الذي حكم بين الجَمَّالين والمنصور[٣]، وهو من الطبقة الخامسة من أهل المدينة، وأمه أسماء بنت سلمة بن عمر بن أبي سلمة، وأمها حفصة بنت عبد الله بن عمر بن

(١) طبقات ابن سعد ٩/ ٢٧٢، والمعارف ص٤٨٢، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٦٢، ومروج الذهب ٦/ ٢٠٨، وأمالي المرتضى ١/ ١٦٤، وتاريخ بغداد ١٤/ ٦٣، وتهذيب الكمال (٤٩٩٥)، والمنتظم ٨/ ٥٨، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٤١، والميزان (٦٠٥٧)، والسير ٦/ ١٠٤.

(٢) الذي في المصادر: سفيان الثوري، انظر تاريخ بغداد ١١/ ٨٩، وتاريخ دمشق ٥٦/ ٧٦، وتهذيب الكمال (٥٠٤٦)، والمنتظم ٨/ ٩٣، والسير ٦/ ٣٤٦، وتاريخ الإسلام ٣/ ٩٤٥، وطبقات ابن سعد ٩/ ٤٨٧.

(٣) سلفت القصة في الصفحة ٩٤.

الخطاب، وأمها أسماء بنت زيد بن الخطَّاب بن نُفَيل.

قضى لبني أمية، ثم للمنصور على المدينة، وكان جَليلاً مَهيباً صَليباً من الرجال، وكان قليل الحديث، ومات بالمدينة في سنة أربع وخمسين ومئة، وقيل: سنة خمس وأربعين ومئة، فبلغ موته أبا جعفر فقال: اليوم استوت قريش.

اتفقوا على صدقه وثقته وديانته وورعه ونزاهته، وكان له من الولد عبد الله وعبد العزيز[١].

يحيى بن الحارث الذِّماريّ

من الطبقة الرابعة من أهل الشام، كان عالماً بالقراءة، إمام جامع دمشق، قرأ على واثلة بن الأَسْقَع، وعبد الله بن عامر، وقال: قلت لواثلة: بايعتَ رسول الله ﷺ بيدك هذه؟ قال: نعم، قلت: أعطنيها حتى أقبِّلَها، فأعطانيها فقبلتُها.

وقال سُويد بن عبد العزيز: سألت الذِّماريّ عن عدد آيِ القرآن، فأشار بيده اليمنى وقال: سبعة آلاف ومئتان، وأشار بيده اليسرى وقال: وستة وعشرون.

وقال الواقدي: مات يحيى بالشام سنة خمس وأربعين ومئة وهو ابن تسعين سنة[٢]، وروى عن عمرو بن مَرْثَد الرَّحَبيّ وغيره، وروى عنه الأوزاعي وغيره.

وفي آخر هذه السنة ثار السودان بالمدينة.

ذكر السبب:

كان رياح بن عثمان المُرِّي قد استعمل على الصدقة أبا بكر بن عبد الله بن أبي سَبْرة، وبعثه إلى طيِّئ وأسد، فأخذ صدقاتهم، ثم اتَّفق خروج محمد بن عبد الله بن حسن، فقدم ابنُ أبي سَبْرة ومعه أربعة وعشرون ألف دينار قد أخذها من الصدقات، فدفعها إلى محمد بن عبد الله فتقوى بها، وكان رياح محبوساً، فلما قُتل محمد كتب

(١) لم أجد من ذكر في أولاد محمد بن عمران: عبد العزيز، انظر نسب قريش ٢٨٥، وطبقات ابن سعد ٧/ ٥٤٨، والمعارف ص٢٣٢، وأنساب الأشراف ٨/ ٢٣١، وجمهرة ابن حزم ص١٣٩، والتبيين ص٣٢٧.

(٢) في طبقات ابن سعد ٩/ ٤٦٧ وهو ابن سبعين سنة، وانظر تاريخ دمشق ١٨/ ٤٨ (مخطوط)، والسير ٦/ ١٨٩، وتاريخ الإسلام ٣/ ١٠٠٧.

عيسى بن موسى إلى أبي جعفر يخبره بخبر ابن أبي سبرة، فأمره أن يقيِّده ويحبسه، ففعل، وقُتل عيسى وهو في الحبس.

وقيل: إن كثير بن حُصَين الذي استخلفه عيسى على المدينة ضربه سبعين سَوطاً وقيَّده، وقدم عبد الله بن الربيع الحارثي المدينة من قِبل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين من شوال، وكان معه جند، فأفسدوا وعاثوا فيها، فوثب عليهم سودان المدينة والرَّعاع، وقتلوا جندَه، وانتهبوا رحلَه، وخرج الحارثي من المدينة هارباً، فنزل ببئر المُطَّلب على خمسة أميال من المدينة يريد العراق، وكسر السُّودان باب الحبس، وأخرجوا ابن أبي رُهْم[1]، وكسروا قيدَه، وحملوه حتى وضعوه على المنبر، فحثَّ على طاعة أبي جعفر، ونهى عن مخالفته، فقيل: صلِّ بالناس، فقال: أنا أسير والأسير لا يَؤم، ورجع إلى محبسه.

وبلغ أبا جعفر فعلُ أبي بكر بن أبي سَبْرة بن أبي رُهْم القرشي، فولَّى على المدينة جعفر بن سليمان، وقال له: إن بيننا وبين أبي بكر بن أبي سَبْرة رَحِماً، وقد آسى وأحسن، فإذا قدمتَ المدينة فأطلقه وأحسن جِواره، فلما وصل جعفر أطلقه.

وكان مَعْن بن زائدة عاملَ أبي جعفر على اليمن، فسأل أبو بكر بن أبي سَبْرة جعفراً والي المدينة أن يكتب له كتاب وصية إلى معن، فكتب له، فلقي الرَّابحيَّ الشاعر، فقال له أبو بكر: هل لك أن تخرج معي إلى اليمن؟ فقال: اكفني أمر عائلتي، فأمر لهم بما يصلحهم، ثم خرج معه فقدما على مَعْن، فلما قرأ كتاب جعفر قال له: جعفر أقدر على صِلَتِك مني فلا شيء لك عندي، فانصرف مغموماً، فلما انتصف النهار دعاه معن وقال له: ما الذي حملك على القدوم عليَّ وأمير المؤمنين عليك واجد؟ فقال: قد زال ما عنده وأوصى بي جعفراً، قال: كم عليك دين؟ قال: أربعة آلاف دينار، فأعطاه ستة آلاف دينار وقال: اقض دينك وأصلح بألفين حالك، فجاء إلى منزله، وأخبر الرَّابِحيّ فجاء إلى معن فأنشده: [من الكامل]

---

(١) هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سَبْرة بن أبي رُهْم.

الـرَّابِـحـيُّ يـقـول فـي مـدحٍ لأبي الوليد أخي[1] النَّدى الغَمْرِ
ملـكٌ بـصـنـعـاءِ الـمـلـوك لـه مـا بـيـن بـيـت الله والـشِّـحْـرِ

فقال معن بن زائدة: فكان ماذا؟ فقال:

حـمـلـتْ بـه أمٌ مـبـاركـةٌ وكـأنّـهـا بـالـحَـمْـلِ لـم تـدري

فقال معن: ثم ماذا؟ فقال:

حـتّـى إذا مـا تـمَّ تـاسـعُـهـا وَلَـدَتْـه أولَ لـيـلـةِ الـقَـدْرِ
وأتـتْ بـه بِـيـضـاً أسـرَّتُـه يُـرجـى لـحـمـل نـوائـب الـدّهـرِ
مـسـح الـقـوابـلُ وَجْـهَـه فـبـدا كـالـبـدر بـل أبـهـى مـن الـبـدر
فـنَـشـا بـحـمـد الـلّـه حـيـن نـشـا حَـسَـنَ الـمـروءة طـيِّـبَ الـذِّكـرِ
حـتّـى إذا مـا طـرَّ شـاربُـه خـضـع الـمـلـوكُ لـسـيِّـدٍ بَـهْـرِ[2]
فـإذا وَهَـى ثَـغْـرٌ يـقـال لـه يـا مَـعْـنُ أنـت سِـدادُ ذا الـثَّـغْـرِ

فأعطاه ألف دينار، وخرج أبو بكر والرابحيُّ من اليمن، فقال له: أما الأربعة آلاف فلدَيني، وأما الألفان فبيننا نصفان، فقاسمه إياها.

وعتب أبو جعفر على معن، فكتب معن يقول: جاءني كتاب جعفر؛ فظننت أن أمير المؤمنين قد رضي عنه، فكتب أبو جعفر إلى جعفر بن سليمان يعاتبه، فكتب إليه جعفر: إنك لما أوصيتَني به لم يكن من استيصائي به غير كتاب إلى معن أوصيه به.

(١) في (خ) و(ب): مدح الأريب أخي، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ١٠٨، والفرج بعد الشدة ٢/ ٢٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٥، والخبر دون الشعر في تاريخ الطبري ٧/ ٦٠٩ ـ ٦١٤، وتاريخ بغداد ١٦/ ٥٣٦ ـ ٥٣٨، والمنتظم ٨/ ٦٨، والسير ٧/ ٣٣٢.

(٢) في (خ) و(ب): لسيد القهر، وفي مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٤٦ : لسيد فهري، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٤.